إقـــــــــــــــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس 448 - 541هـ/ 1056 - 1146م

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name: اسم الطالب: **نداء محمد نافذ مشهور بهلول**

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: **2014/02/19**

الجـامعـة الإسلامـيـة-غــــزة
عـمـادة الـدراســات الـعـلـيا
كلية الآداب-قسم التاريخ والآثار

جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس (448-541هـ = 1056-1146م)

Aspects of Wisdom in the Rule of the Almoravids in Morocco and Andalusia

(541 -448 هـ = 1146 -1056م)

إعداد الطالبة

نداء محمدنافذ مشهور بهلول

إشراف الأستاذ الدكتور

خالد يونس الخالدي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية–غزة

1435 هـ = 2014 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم ج.س.غ/35/ Ref

التاريخ 2014/02/19م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **نداء محمد نافذ/ مشهور بهلول** لنيل درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/ قسم التاريخ**، وموضوعها:

جوانب الرشد في حكم المرابطين في المغرب والأندلس
448 – 541هـ/ 1056 – 1146م

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الأربعاء 19 ربيع الآخر 1435هـ، الموافق 2014/02/19م الساعة العاشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. خالد يونس الخالدي	مشرفاً ورئيساً	....
د. غسان محمود وشاح	مناقشاً داخلياً	....
د. يوسف إبراهيم الزاملي	مناقشاً خارجيًا	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية *الآداب*/قسم التاريخ**.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي وللدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أحمد الله تبارك اسمه أن منّ علي بالتوفيق، حتى إتمام هذه الرسالة، بعد أن ذلل لي الصعاب، مع رجائي أن يتقبله مني ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .

انطلاقاً من قوله تعالى: " ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه"، وإيمانا بفضل الاعتراف بالجميل وتقديم الشكر والامتنان لأصحاب المعروف فإني أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العظيم لكل من ساعد في إنجاح هذه الرسالة وأخص بالذكر:

أستاذي ومشرفي الفاضل الدكتور خالد الخالدي حفظه الله على قبوله الإشراف على هذا البحث ومتابعته له منذ الخطوات الأولى وعلى ما منحني من صدر واسع ونصح وإرشاد ساعد على إخراج هذا العمل بهذه الصورة أسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء .

كما وأقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة، إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، إلى جميع أساتذتنا الأفاضل .

كما وأتقدم بالعرفان والتقدير لجامعتنا الإسلامية التي شقت طريقاً صعباً حتى وصلت إلى هذه المكانة العالية بين أصرحة العلم العالمية رئاسة وعمادة وأساتذة وإداريين .

كما وأشكر موظفي المكتبة المركزية على مساعدتهم لنا أنا والباحثين من زميلاتي وزملائي وتزويدنا بكل ما نحتاجه بتعاون تام وأمانة وإخلاص .

كما وأتقدم بالشكر الجزيل لأفراد عائلتي جميعاً على تشجيعهم ومساعدتهم لي حتى أتممت بحثي هذا .

كما أتقدم بشكري الجزيل لكل من ساهم معي ولو بالنذر اليسير في إخراج هذا العمل المتواضع على الشكل المرجو.

وختاماً آمل من الله أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث بالطريقة التي تنفع الإسلام والمسلمين وتخدم الدارسين وأن أنال رضى الله عز وجل .

إهـــــــــداء

إلى كل من أضاء بعلمه عقل غيره

أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه

فأظهر بسماحته تواضع العلماء

وبرحابته سماحة العارفين.

إلى أمي . . . التي زودتني بالحنان والمحبة

إلى إخوتي . . . من كانوا يضيئون لي الطريق، أحبكم حباً لو مر على أرض قاحلة، لتفجرت منها ينابيع المحبة.

إلى صديقاتي الأخوات . . . إلى من تحلين بالإخاء وتميزن بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي

إلى من معهن سعدت، برفقتهن في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت، إلى من كن معي على طريق النجاح والخير، إلى من عرفت كيف أجدهن وعلمنني أن لا أضيعهن.

إلى الذين كانوا عوناً لنا في بحثنا هذا ونوراً يضيء الظلمة التي كانت تقف أحياناً في طريقنا .

إلى من زرعوا التفاؤل في دربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات والأفكار والمعلومات، ربما دون أن يشعروا بدورهم فلهم منا كل الشكر.

قائمة بالرموز والاختصارات الواردة في البحث

الرمز	الدلالة
ت	تُوفي
ج	جزء
ص	صفحة
م	ميلادي
هـ	هجري
مج	مجلد
م. ن	المصدر نفسه
د. ت. ط	دون تاريخ طبعة

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبيه المبعوث رحمة للعالمين:

إن هناك رجالاً عظماء في تاريخنا الإسلامي يصح أن نقول عنهم أنهم غيروا التاريخ، ومن هؤلاء بلا شك المجاهدين العظماء قادة المرابطين، رضي الله عنهم بما قدموا للمسلمين من خدمات، وبما جاهدوا أعداء دين الله من نصارى وغيرهم، فقد كانوا ذوي خصائص وصفات مكنتهم من تحقيق ذلك، ولعل الوقوف عليها من أهم ما ينقل للجيل الحالي، لعل الاستفادة تحصل من سيرة هؤلاء القادة، وتسد بسيرتهم ثغرة من ثغرات المسلمين، فماذا يمكن للقلم أن يكتب عن منقذي الإسلام في الأندلس، ومن أخر سقوط الأندلس لأربعة قرون، ودحر الكافرين، وأعز الله بهم الدين، في وقت تكالبت فيه قوى الكفر لتقضي على ما بقى من المسلمين في الأندلس، ومن ثمَ اتجهوا لتوحيد الأندلس، وجمع ملوك الطوائف المتناحرين تحت قيادة دولتهم الرشيدة.

وقد حاولت جاهدة أن أرسم صورة لتلك الدولة التي حكمت المغرب والأندلس لفترة ليست يسيرة من تاريخ المسلمين، وأن أصور صفات خلفائها، بالاستعانة بمصادر الكتب ومراجعها، بحثاً عن معلومة هنا وهناك، لعلها تؤدي الهدف المنشود من هذه الرسالة التي عملت على إنجازها، ويمكن القول أن هناك عدداً من الأسباب التي دعتني إلى التوجه نحو هذا الموضوع للبحث والكتابة والتي منها:

1- ندرة الدراسات الأكاديمية الجادة التي تناولت الموضوع بالرغم من أهميته.
2- تميز العديد من حكام المرابطين ونجاحهم في إقامة دولة ملتزمة قوية نجحت في إصلاح مجتمعي المغرب والأندلس ومكنته من مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية.
3- إثبات أن الحكم الرشيد في تاريخ المسلمين لم ينته بانتهاء عهد الخلفاء الأربعة الراشدين وعهد عمر بن عبد العزيز، وإنما تكرر ولكن بقدر أقل، وأنه كلما توفرت معالم الحكم الرشيد في الدولة يكون الاقتراب من النموذج المتمثل بعهد الخلفاء الراشدين، ويكون النجاح.

4- تسليط الأضواء على الجوانب الإيجابية الكثيرة للحكام في العهد المرابطي الذين استطاعوا أن يحفظوا الأندلس والمغرب من السقوط في أيدي النصارى الأسبان الذين كانوا يخوضون حرباً شرسة لتحقيق هذا الهدف.

5- إظهار تجربة مهمة ناجحة في إصلاح المجتمعات المنحرفة، وتحويلها إلى مجتمعات مستقيمة قوية موحدة مجاهدة منتصرة، وبيان دور الحكام المقتدين بالخلفاء الراشدين في تحقيق هذا النجاح.

أما على صعيد المحتوى فقد تم عرض الدراسة من خلال تمهيد تناولت فيه نشأة دولة المرابطين، وصفات الحكم الرشيد في الإسلام، وخمسة فصول وخاتمة، خصص الفصل الأول منها لاستقامة حكام المرابطين.

وقد تناول الفصل الثاني اهتمام حكام المرابطين بالعلم.

وكرس الفصل الثالث للعدل عند حكام المرابطين.

أما الفصل الرابع فقد جعل للجهاد عند حكام المرابطين.

وتناول الفصل الخامس والأخير من هذه الدراسة التطوير الإداري والاقتصادي والعمراني عند حكام المرابطين.

تمهيد

أولاً- معالم الرشد في عهد الخلفاء الراشدين

تميز الحكم الإسلامي في العهد الراشدي عن غيره من العهود، وظل نموذجاً يُحتذى به، لكل من عزم على الرشد في الحكم، ذلك أنه اعتمد على مبادئ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة في شئون الحكم كافة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، ومن معالم وصفات الرشد في العهد الراشدي والتي تأثر بها المرابطون وسعوا إلى الالتزام بها:

1- الشورى:

اعتمد الخلفاء الراشدون مبدأ الشورى وعملوا به، فقد اجتمع الأنصار بعد وفاة الرسول في سقيفة بني ساعدة، وأرادوا أن يولوا زعيمهم ، ولما علم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- بالخبر التقى بأبي بكر الصديق- رضي الله عنه-، فخرجوا إلى الأنصار وذهب معهم أبو عبيدة بن الجراح – رضي الله عنه-، قال أبو بكر هذا عمر وهذا أبو عبيدة- رضي الله عنه-، فأيهما شئتم فبايعوا، فقالا لا نتولى هذا الأمر عليك، فامدد يدك نبايعك، فسبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، وبايعته الأوس، وكانت تلك البيعة الخاصة.[1] ثم كانت البيعة العامة في المسجد، حيث جلس أبو بكر على المنبر ليبايعه الناس. [2]

وقد حث أبو بكر الصديق ولاته على الشورى حيث قال لسعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه-: "وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدق في بعضه، والغاش عينٌ عليك وليس عيناً لك". [3]

---

(1) الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ= 922م): تاريخ الأمم والملوك، عدد الأجزاء5، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ= 1986م، ج2 ص241-244.

(2) ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت218هـ= 833م): السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، عدد الأجزاء2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1375هـ= 1955م، ج2 ص660-661.

(3) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ= 1333م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، عدد الأجزاء33، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424 هـ= 2003م، ج6 ص143.

وبين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–، أهمية الشورى عندما ذكر أن الرأي المفرد لوحده كالخيط السحيل (1)، وأن الرأيين كالخيطين والثلاثة آراء كالثلاثة لا تكاد تنقطع. (2)

وحث عثمان – رضي الله عنه–، ولاته على الأمصار على الشورى فكتب عثمان – رضي الله عنه–، إلى ولاته على البلاد، أن يستشيروه فيما يحدث عندهم من مشاكل، حتى يستطيع أخذ رأي الأمة ثم يرسل الحلول لهم. (3)

وعندما ولى عثمان عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر، استأذنه في غزو إفريقية (4) فأذن له بغزوها بعد أن شاور الصحابة بذلك. (5)

واستعمل عليّ بن أبي طالب مبدأ الشورى، فلما قُتل عثمان بن عفان، أقبل الناس إلى علي ليبايعوه، فشاور أهل بدر، فقال: أين طلحة – رضي الله عنه–، والزبير – رضي الله عنه–، وسعد – رضي الله عنه– فلما بايعوه، بايعه المهاجرون والأنصار، ثم بايعه الناس. وذلك سنة (35هـ = 655م). (6) وكانت بيعة عليّ بن أبي طالب في المسجد وهي بيعة عامة، وذلك بناءً على رغبته. (7)

---

(1) السحيل الخيط غير مفتول. ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت711هـ= 1311م): لسان العرب، عدد الأجزاء15، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، د. ت. ط، ج11 ص327.

(2) الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري (ت520هـ= 1126م): سراج الملوك، القاهرة، 1289هـ= 1872م، ص133.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص602.

(4) إفريقية بكسر الهمزة وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص228.

(5) ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين (ت257هـ= 870م): فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ط1، 1416هـ= 1995م، ص104.

(6) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت328هـ= 939م): العقد الفريد، تحقيق: مفيد قمحية، عدد الأجزاء9، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ= 1983م، ج2 ص100.

(7) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص696.

وعندما أرسل علياً– رضي الله عنه–معقل بن قيس [1] إلى الأهواز [2]، فأوصل إليه كتاباً، يخبره بانتصاره، وفرار الخريث بن راشد الخارجي [3]، فقرأه على أصحابه واستشارهم، فاجتمع رأي عامتهم على قول واحد فقالوا له نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس فيتبع أثره فلا يزال في طلبه حتى يقتله، أو ينفيه، فإنا لا نأمن أن يفسد عليك الناس، فقال له: فإن بلغك أنه قد استقر ببلد من البلدان فسر إليه حتى تقتله، أو تنفيه، فإنه لن يزال للمسلمين عدواً. [4]

2- الورع والتقوى:

أمثلة كثيرة تدل على ورع الخلفاء الراشدين وتقواهم، فمن ورع أبي بكر – رضي الله عنه–وتقواه، حرصه على الصلاة بالناس، فقد كان يأتي إلى المدينة فيصلي الصلوات بالناس،

---

(1) معقل بن قيس (ت43 هـ = 663 م): الرياحي، من بني يربوع قائد، من الشجعان الأجواد. أدرك عصر النبوة. وأوفده عمار بن ياسر على عمر، بشيراً بفتح تستر، ووجهه على بني ناجية حين ارتدوا. ثم كان من أمراء الصفوف يوم الجمل. وولي شرطة على بن أبى طالب. وكان صاحب شرطة علي، وبارزه المستورد بن علقة اليربوعي الخارجي بارزه لما خرج بعد علي فقتل كل منهما الآخر، في خلافة معاوية. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل (ت852هـ= 1448م): الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، عدد الأجزاء 8، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ= 1991م، ج6 ص 306؛ الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت 1396هـ= 1976م): الأعلام، عدد الأجزاء 8، دار العلم للملايين، ط15، 1422هـ= 2002م، ج7 ص271.

(2) الأهواز آخره زاي، وهي جمع هوز، وأصله حوز فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها، لأنه ليس في كلام الفرس حاء مهملة، فيقلبوها هاء، والأهواز سبع كور بين البصرة وبلاد فارس، لكل كورة منها اسم، ويجمعهن الأهواز. ياقوت، معجم البلدان، ج1 ص284–285.

(3) الخريت الناجي(ت 39 هـ = 660 م): صحابي ثائر، من بني ناجية، لقي الخريت بن راشد رسول الله صلى الله عليه و سلم بين مكة والمدينة في وفد بني سامة بن لؤي فاستمع لهم وقال لقريش هؤلاء قوم لد، وكان الخريت على مضر كلها يوم الجمل، واستعمله عبد الله بن عامر على كورة من كور فارس، وكان أحد الأمراء على بني ناجية في حروب الردة، و كان مع علي حتى التحكيم، ففارقه إلى بلاد فارس، م فأرسل عليُ إليه معقل بن قيس وجهز معه جيشاً، فحشد الخريت من قدر عليه من العرب والنصارى، فأمر العرب بمنع الصدقة، والنصارى بمنع الجزية، وارتد كثير ممن كان أسلم من النصارى فقاتلهم معقل، ونصب راية ونادى من لحق بها فهو آمن فانصرف إليها كثير من أصحاب الخريت فانهزم الخريت فقتل قتله النعمان بن صبهان الراسبي. العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج2 ص 273؛ الزركلي: الأعلام، ج2 ص303.

(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3 ص144.

فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالَسْنح [1]، فكان إذا حضر صلى بالناس، وإذا لم يحضر صلى بهم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه–. [2]

وحرص أبو بكر – رضي الله عنه–على الحرص على طاعة الله، فقد ربط بين طاعته كخليفة، وطاعته لله ورسوله ففي خطبة توليه الخلافة قال: "أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله". [3]

وحرص على تجنب الحرام، فيُذكر أنه كان له غلام فكان إذا جاء بطعام لم يأكل منه حتى يسأله فإن كان شيئاً مما يحب أكل، وإن كان شيئاً يكره لم يأكل فنسي ليلة فأكل ولم يسأله، ثم سأله، فأخبره أنه من شيء كرهه، فتقيأ حتى لم يترك شيئاً. [4]

ومن ورع عمر حرصه على قراءة القرآن حتى كان يمر بالآية في ورده فتخنقه فيبقى في البيت أياماً حتى يحسبونه مريضاً. [5]

وحرص عمر بن الخطاب على حث قادته على تقوى الله، "كان أول كتاب كتبه عمر حين ولي أبي عبيدة – رضي الله عنه–جند خالد: "أوصيك بتقوى الله، الذي يبقى وينتهي ما عداه ". [6]

---

(1) السنح سنح بضم أوله وسكون ثانيه وآخره حاء مهملة يجوز أن يكون جمع سانح، وقد يضم ثانيه فيقال سنح في الموضع والجمع، وهي إحدى محال المدينة كان بها منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين تزوج مليكة وقيل حبيبة بنت خارجة بن زيد بن زهير بن مالك ابن امرىء القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج من الأنصار، وهي في طرف من أطراف المدينة، وبينها وبين منزل النبي صلى الله عليه وسلم ميل، والسنح أيضاً موضع بنجد قرب جبل طيء. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص265.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص354.

(3) ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل (ت774 هـ= 1372م): البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، عدد الأجزاء14، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408 هـ= 1987م، ج5 ص269.

(4) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت241هـ= 855م): كتاب الزهد، عدد الأجزاء2، د. ت. ط، ج1 ص109–110.

(5) ابن حنبل: كتاب الزهد، ج1 ص119.

(6) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص355.

ومن شدة خوفه من الله حرص عمر بن الخطاب على تناول الطعام الحلال، فعن عبد الرحمن بن نجيح قال: "نزلت على عمر رضي اللّه عنه، فكانت له ناقة يحلبها فانطلق غلامه ذات يومٍ فسقاه لبنًا أَنكره، فقال: ويحك من أَين هذا اللبن لك؟ قال: يا أَمير المؤمنين إِن الناقة انْفَلت عليها ولدُها فشربها، فحلبت لك ناقة من مال اللّه، فقال ويحك تسقيني نارًا، واستحل ذلك اللبن من بعض الناس. فقيل: هو لك حلال يا أَمير المؤمنين ولحمها". [1]

وقد ذكر أن الخليفة عثمان بن عفان من أعلم الناس بالمناسك. [2] وكان يحيي الليل فيختم القرآن في ركعة. [3]

وقد حرص عثمان بن عفان على تجنب كل ما يغضب الله، ونهى الناس عنه، فعن أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث قال: "سمعت عثمان يقول اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، فإنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فذكر مثله، قال فاجتنبوا الخمر فإنه والله لا يجتمع والإيمان أبداً إلا يوشك أحدهما أن يخرج صاحبه". [4]

وحرم عثمان لعب الميسر فقال: "يا أيها الناس إياكم والميسر يريد النرد فإنها قد ذكرت لي أنها في بيوت ناس منكم، فمن كانت في بيته فليحرقها أو فليكسرها، قال عثمان رضي الله عنه مرة أخرى وهو على المنبر، يا أيها الناس إني قد كلمتكم في هذا النرد، ولم أركم أخرجتموها، ولقد هممت أن آمر بحزم الحطب ثم أرسل إلى بيوت الذين هي في بيوتهم فأحرقها عليهم. [5]

---

(1) ابن شبة، أبو زيد عمر النميري البصري (262هـ= 875م): تاريخ المدينة المنورة، تحقيق علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، عدد الأجزاء2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ= 1996م، ج1 ص461.

(2) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري (124هـ= 741م): الطبقات الكبرى، عدد الأجزاء 8، دار صادر، بيروت، ج3 ص60.

(3) الزهري: م. ن، ج3 ص75.

(4) النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت303هـ= 915م): سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، عدد الأجزاء8، دار المعرفة، ببيروت، ط5، 1420هـ= 1999م، ج8 ص718.

(5) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت458= 1066م): السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، عدد الأجزاء10، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة، الهند، حيدر آباد، ط1، 1344هـ= 1925م، ج10 ص215.

وفي أول خطبة للإمام عليّ بعد توليه الخلافة، أوصى الناس باتباع كتاب الله، والتمييز بين الخير والشر والأخذ بالخير، وأن يؤدوا الفرائض إلى الله سبحانه لأنها الطريق إلى الجنة، وحث المسلمين على عدم أذى بعضهم البعض. (1)

وقد خاف الخليفة عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه–على الناس من اتباع أهوائهم، وطول الأمد، لأنهما ينسيا الآخرة، ويصدا عن الحق، وطلب من الناس أن يعملوا لآخرتهم. (2)

ومن ورع عليّ تسليمه المطلق بحديث رسول الله فيذكر أنه قدم على عليّ رحمه الله وفد من أهل البصرة منهم رجل من رؤوس الخوارج، فخطب الناس وقال: "يا عليّ اتق الله فإنك ميت، فقال علي عليه السلام لا والذي نفسي بيده بل مقتول قتلاً، قضاء مقضي، وقد خاب من افترى. (3)

3- الزهد:

اتصف الخلفاء الراشدون بالزهد فقد زهد أبو بكر – رضي الله عنه–في الحكم، فلما بويع قام فخطب في الناس، وذكر أنه ما كان حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة، ولا كان راغباً فيها، ولم يطلبها من الله، ولكنه خاف من الفتنة، وأنه بتولي الإمارة لن يرتاح أبداً. (4)

وعندما قارب أبو بكر على الوفاة، قال لعائشة" "إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ ديناراً ولا درهماً، ولكنا أكلنا من خشن طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم، يا عائشة انظري الإبل التي كنا نشرب من لبنها، والآنية التي كنا نشرب فيها، والثياب التي كنا نلبسها، فإنا كن ننتفع بذلك حين كنا نلي أمر المسلمين، فإذا مت فرديه إلى عمر، فلما مات أبو بكر أرسلت به إلى عمر، فقال عمر: "رحمك الله يا أبا بكر". (5)

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص701.

(2) ابن حنبل: كتاب الزهد، ج1 ص130.

(3) ابن حنبل: م. ن، ج1 ص131.

(4) الطبري، أحمد بن عبد الله (ت 694 هـ= 1295م): الرياض النضرة في مناقب العشرة، عدد الأجزاء3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1418 هـ= 1997م، ج1 ص208.

(5) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ= 1505م): تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1371هـ= 1951م، ص72؛ الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (360هـ= 971م): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، عدد الأجزاء 20،

ومن زهد أبي بكر وبعده عن ملذات الدنيا، أن زوجته اشتهت حلواً فقال ليس لنا ما نشتري به، فقالت أنا أخبئ من نفقتنا في عدة أيام ما نشتري به، فقال لها افعلي، فاجتمع لها مال لشراء الحلوى، فأخذه ورده إلى بيت المال، وقال هذا يزيد عن قوتنا، وأسقط هذا المبلغ من نفقته من بيت المال. (1)

وقد شهد عمرو بن أمية الضمري (2) بزهد عمر في الطعام، فقال: يرحم الله ابن الخطاب أكلت معه الخزيرة، فكادت اللقمة تشقق في يدي حين أهوي بها إلى فمي، وليس فيها لحم، ولا لبن فيها. (3)

ولما دخل عتبة بن فرقد (4) على الخليفة عمر بن الخطاب، رأى طعام عمر من خبز وزيت، فقال له اقترب يا عتبة فكل، فإذا هو طعام جشب (5) لا يستطيع أن يسيغه. (6)

مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1404هـ= 1983م، ج1 ص60؛ بن حنبل: كتاب الزهد، ج1 ص109-110.

(1) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ= 1232م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، عدد الأجزاء10، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ= 1994م، ج2 ص 271.

(2) عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن إياس بن عبد بن ناشرة بن كعب بن جدي بن ضمرة الضمري، صحابي مشهور له أحاديث، أسلم حين انصرف المشركون من أحد، وكان شجاعاً، وكان أول معاركه بئر معونة، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي في زواج أم حبيبة، وإلى مكة فحمل خبيباً من خشبته، وعاش إلى خلافة معاوية فمات في المدينة قبل الستين. العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج4 ص 602.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص681.

(4) عتبة بن فرقد بن يربوع بن حبيب بن مالك بن أسعد بن رفاعة السلمي أبو عبد الله، شهد خيبر، ولاه عمر فتح الموصل سنة 18هـ مع عياض بن غنم، غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوتين، وما كان يمس الطيب، نزل عتبة بالكوفة ومات بها. العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج4 ص 439.

(5) جشب أي غليظ خشن. ابن منظور: لسان العرب، ج1 ص265.

(6) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ= 1232م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد البنا ومحمد عاشور، عدد الأجزاء3، مكتبة فايد، القاهرة، 1389هـ= 1970م، ج2 ص321.

وذكر أمير أذرعات [1] أنه لما قدم عمر الشام بعث إلى بقميصه لأرقعه له وأغسله، فغسلته ثم رقعته، وأرسلته له مع قميص آخر، فلما أُتى بهما إلى عمر رضي الله عنه مس القميص الآخر فقال هذا ألين ثم رمى به، وأخذ قميصه. [2]

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل إلى بيته فيأكل الخل والزيت. [3]

ويذْكر أن عمر وعثمان رضي الله عنهما دُعيا إلى طعام، فلما خرجا ود عثمان أنهم لم يأكلوه، وذلك لخوفه أن يكون صنع من أصحابه للفخر بأنفسهم. [4]

وقال عليّ بن أبي طالب –رضى الله عنه–: الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئاً، فليصبر على مخالطة الكلاب. [5]

وعن عمار بن ياسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعليّ بن أبي طالب: " يا عليّ، إن الله عز وجل قد زينك بزينة لم يتزين العباد بزينة أحب إليه منها: الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدنيا شيئاً، ولا تنال الدنيا منك شيئاً. [6]

"ويذْكر أن عليّ بن أبي طالب –رضي الله عنه–، أتى ومعه غلام له، فاشترى قميصين، فقال لغلامه: اختر أيهما شئت، فأخذ أحدهما، وأخذ عليّ الآخر، فلبسه، ثم مد يده فقال: اقطع الذي يزيد عن قدر يدي، فقطعه ولبسه وذهب". [7]

---

(1) أذرعات بالفتح ثم السكون وكسر الراء وعين مهملة وألف وتاء، كأنه جمع أذرعة جمع ذراع جمع قلة، وهو بلد في أطراف الشام. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص130.

(2) ابن حنبل: كتاب الزهد، ج1 ص118.

(3) ابن حنبل: م. ن، ج1 ص129.

(4) ابن حنبل: م. ن، ج1 ص126.

(5) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج2 ص295.

(6) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج2 ص295.

(7) ابن الأثير: م. ن، ج2 ص295–296.

وذُكر عن عليّ بن أبي طالب أنه لما اجتمع له المال والذهب في بيت مال المسلمين، أمر بتوزيعه على الناس، حتى لا يغتر بالأموال، ثم صلى فيه. (1)

وعندما أتي لعليّ بن أبي طالب–رضي الله عنه–بالفالوذج، فوضع أمامه، قال إنك طيب الريح، حسن اللون، حسن الطعم ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده. (2)

وعندما قيل لعلي – رضي الله عنه–لم ترقع قميصك قال يخشع القلب ويقتدي به المؤمن. (3)

4- العدل:

تميز الخلفاء الراشدون بالعدل فعندما خطب أبو بكر الصديق خطبة توليته خليفة على المسلمين ذكر أن الضعيف قوي عنده حتى يأخذ حقه، والقوي ضعيف عنده حتى يأخذ منه الحق. (4)

وفي عهد أبي بكر انتشر العدل فيذكر عمر بن الخطاب أنه ولى القضاء لأبي بكر، فقال عمر فلقد كان يأتي عليَ الشهر ما يختصم إليَ فيه اثنان. (5)

وقد ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه ما أرسل ولاته إلا ليعدلوا بين الناس، ويرفعوا إليه ما يعترضهم من مشاكل. (6)

وكان عمر يعرف أنه مسئول عن سياسة ولاته فقال: "أيما عامل لي ظلم أحدا فبلغتني مظلمته فلم أغيرها فأنا ظلمته". (7)

---

(1) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ= 1038م): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، عدد الأجزاء 10، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1405هـ= 1984م، ج1 ص81.

(2) ابن حنبل: م. ن، ج1 ص132.

(3) ابن حنبل: م. ن، ج1 ص130؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3 ص27-28.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية، ج5 ص269.

(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3 ص184.

(6) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3 ص336.

(7) ابن سعد: م. ن، ج3 ص305.

وقد حرص عمر بن الخطاب على عقاب ولاته المخطئين، فيذكر أنه كان يأمر عماله أن يأتوه في موسم الحج، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين إن عاملك فلاناً ضربني مائة سوط قال فيم ضربته قم فاقتص منه، فقام عمرو بن العاص – رضي الله عنه–فقال: يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكثر عليك، ويكون سنة يأخذ بها من بعدك، فقال: أنا لا أقتص، وقد رأيت رسول الله يقتص من نفسه، فافتدى الرجل منه بمائتي دينار عن كل سوط ديناران. (1)

وحث عثمان على العدل في أول خطبة بعد توليته، فقال أن الأئمة يجب أن يكونوا رعاة، وليس جباة، وإن أعدل السيرة أن ينظروا في أمور المسلمين فيعطوهم ما لهم، ويأخذوهم بما عليهم، ثم تثنوا بأهل الذمة، فيعطوهم الذي لهم، ويأخذوهم بالذي عليهم. (2)

وحرص عثمان على متابعة ولاته، حيث طلب أن يوافيه العمال في كل موسم، ومن يشكونهم، وكتب عثمان إلى الناس في الأمصار أنه مع الضعيف على القوي ما دام مظلوماً، وأنه ليس على الرعية أخذ حاجتها بالقوة، حتى لا يسلط الله عليها من هو أقوى منها· (3)

وكان أول كتاب كتبه عثمان بن عفان –رضي الله عنه–إلى عمال الخراج: "لا تظلموا اليتيم، ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلمهم". (4)

وقد كان عثمان حريصاً على تحري العدل حتى ولو على نفسه، فيُذكر أنه دخل رضي الله عنه على غلام له يعلف ناقة فرأى في علفها ما كره فأخذ بأُذن غلامه ففركها، ثم ندم فقال لغلامه اقتص، فأبى الغلام، فلم يدعه حتى أخذ بأُذنه فجعل يفركها فقال له عثمان شُد حتى ظن أنه قد بلغ منه مثل ما بلغ منه. (5)

وحث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ولاته على العدل مع الرعية، حيث طلب منهم أن يتقوا الله في عباده، فهم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم. (6)

---

(1) الزهري: م. ن، ج3 ص293–294؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص568.

(2) الطبري: م. ن، ج2 ص591.

(3) الطبري: م. ن، ج2 ص578، 679.

(4) الطبري: م. ن، ج2 ص591.

(5) ابن شبة: تاريخ المدينة المنورة، ج2 ص132.

(6) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص701.

وذكر رجل من ثقيف أنه عمل عند عليّ بن أبي طالب، فقال له: لا تضرب رجلاً سوطاً في جباية درهم، ولا تتبع للناس رزقاً، ولا دابة يعملون عليها، فقال له: إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك. قال: وإن رجعت ويحك! إنما أمرنا أن نأخذ منهم الزيادة. (1)

5- التواضع:

كان خلفاء العهد الراشدي متواضعين، ففي سقيفة بني ساعدة ظهر تواضع أبي بكر عندما طلب منه عمر بن الخطاب أن يمد يده ليبايعه الناس، فقال لماذا تبايعوني، فو الله ما أنا بأتقاكم ولا أقواكم، أتقانا سالم مولى أبي حذيفة، وأقوانا عمر –رضي الله عنه-. (2)

وظهر مبدأ التواضع واضحاً في خطبة تولية أبي بكر الصديق أمور المسلمين، فقد قال أنه ولُي عليهم وليس بخيرهم. (3)

وكان أبو بكر رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين رجلاً تاجراً يذهب كل يوم بنفسه إلى السوق فيبيع ويشتري. (4)

ومن تواضع أبي بكر أنه كان له غنم يخرج هو نفسه فيها أحياناً، وكان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي الآن لا تحلب لنا، فسمعها أبو بكر فقال لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه. (5)

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو خليفة المسلمين لا يمانع أن يرعى مصالح المسلمين فقد كان يدهن إبل الصدقة بالقطران. (6)

ولما بعث عمر بأمان إلى أهل القدس، ذهب إليها، فرأى فرسه يميل به، فنزل عنه وأتي بدابة فركبه، فهزه، فنزل، فضرب وجهه بردائه، ثم قال قبح الله من علمك هذا من الخيلاء، ثم

---

(1) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج2 ص295-296.

(2) ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله (ت241هـ=855م): فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس، عدد الأجزاء2، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1403هـ= 1982م، ج1 ص162.

(3) ابن كثير: البداية والنهاية، ج5 ص269.

(4) الزهري: الطبقات الكبرى، ج3 ص186؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص354.

(5) الزهري: م. ن، ج3 ص186؛ الطبري: م. ن، ج2 ص354.

(6) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص579.

دعا بفرسه فركبه ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس[1]

وكان عثمان بن عفان –رضي الله عنه–نائماً في المسجد في ملحفة، ليس حوله أحد، وهو وقتئذ أمير المؤمنين. [2]

وقد شوهد عثمان بن عفان –رضي الله عنه–يقيل في المسجد، وهو يومئذ خليفة، قال ويقوم وأثر الحصباء في جنبه. [3]

وكان عثمان يتوضأ بنفسه في الليل، فطلب منه بعض الناس أن يقوم الخدم بجلب الماء للوضوء، فرفض ذلك لأن الليل خلق للراحة، وهو حريص على راحة خدمه. [4]

ومن تواضع عثمان رضي الله عنه أنه كان يركب دابته وخلفه غلامه وهو أمير المؤمنين. [5]

ولم يختلف مظهر الخلفاء ولم يحاطوا بعظمة الملوك، فعلي رضي الله عنه كان يلبس رداءً، ومعه الدرة كأنه أعرابي بدوي. [6]

وكان عليّ رضي الله عنه يمارس التجارة مع عمله خليفة للمسلمين، فقد كان عليه ثوباً، قال: اشتريته بخمسة دراهم، فمن أربحني فيه درهماً بعته. [7]

ويُروى أنه اشترى تمراً بدرهم، فحمله في ملحفة، فقالوا نحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال لا أبو العيال أحق أن يحمل. [8]

---

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص450.

(2) ابن حنبل: كتاب الزهد، ج1 ص127.

(3) ابن حنبل: م. ن، ج1 ص127.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3 ص60.

(5) ابن حنبل: كتاب الزهد، ج1 ص127.

(6) ابن حنبل: م. ن، ج1 ص129.

(7) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج2 ص295–296.

(8) ابن حنبل: كتاب الزهد، ج1 ص133.

6- تفقد أحوال الرعية:

حرص الخلفاء الراشدون على تفقد أحوال الرعية، واجتهدوا في ذلك إذ يروى أنَ عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء، في بعض جوانب المدينة من الليل، فيستقي لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاء وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت. فجاءها مبكراً، حتى لا يسبقه أحد إليها، فوجد أن الذي يسبقه إليها هو أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، وهو يومئذ خليفة. (1)

وقد كان عمر يذَكر الرعية أن لهم حقاً عليه، وهو النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، إنه ليس من حلم أحب إلى الله من حلم إمام ورفقه، أيها الرعية إنه ليس من جهل أبغض إلى الله من جهل إمام وتقصيره. (2)

وكان الوفد إذا قدموا على عمر رضي الله عنه سألهم عن أميرهم فيقولون خيراً، فيقول هل يزور مرضاكم؟ فيقولون نعم، فيقول هل يزور العبد؟ فيقولون نعم، فيقول كيف يصنع بالضعيف؟ هل يجلس على بابه؟، فإن قالوا لا لخصلة منها عزله. (3)

وكان عمر بن الخطاب و غلامه أسلم قد خرجا و إلى حرة واقم (4)، حتى إذا كانا بصرار (5)، إذ رأى عمر نار تشتعل، فقال عمر لغلامه أن هؤلاء قوم حبسهم الليل، فأسرعا حتى اقتربا فإذا بامرأة معها صبيان، وقدر منصوبة على نار، وصبيانها يصرخون، فسألها عمر: مال هؤلاء الصبية يبكون؟، قالت من الجوع، قال وأي شيء في هذه القدر؟، قالت لا يوجد شيء، أسكتهم، فأنا أوهمهم أن هناك ما يأكلونه حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر، قال: وما يدري بكم عمر، قالت: يتولى أمرنا ويغفل عنا، قال أسلم: فعاد عمر حتى وصل إلى مكان تخزين الدقيق، فأخرج من الدقيق، وطبخه لها، ثم قال: أطعميهم، حتى شبعوا، فجعلت تقول:

---

(1) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج2 ص147.

(2) الطبري: م. ن، ج2 ص578.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص579.

(4) واقم حصن من حصون المدينة، كأنه سمي بذلك لحصانته ومعناه أنه يرد عن أهله، وحرة واقم إلى جانبه. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص354.

(5) صرار بكسر أوله وآخره مثل ثانيه وهي الأماكن المرتفعة التي لا يعلوها الماء، يقال لها صرار، وصرار ماء قرب المدينة، وصرار أيضا بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق وقيل موضع بالمدينة. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص398.

جزاك الله خيراً أنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين، فقال: إذا جئتِ أمير المؤمنين وجدتني هناك إن شاء الله. (1)

وكان عثمان بن عفان يهتم بتفقد أمور الرعية، حيث كان يخرج يوم الجمعة فيجلس على المنبر فيؤذن المؤذن، وهو يتحدث يسأل عن أسعارهم، وعن مرضاهم، ثم إذا سكت المؤذن خطب وسألهم كمسألته الأولى. (2)

وكان عليّ بن أبي طالب، يخرج إلى السوق، ومعه درة له يمشي بها في الأسواق، ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول: أوفوا الكيل والميزان. (3)

7- العلم:

كان الخلفاء الراشدون علماء، فقد كان أبو بكر الصديق أعلم أهل قريش بأنسابها، وكان أهل قريش يحبونه لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، وقبلوا دعوته إلى الإسلام نتيجة لذلك فأسلم على يديه عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنهم–. (4)

وقال ابن مسعود: لو أن علم عمر وضع في كفه ميزان، ووضع علم الناس في كفه ميزان لرجح علم عمر، وقال: لما مات عمر ذهب تسعة أعشار العلم، (5) فقد روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم 539 حديثاً. (6)

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "بينما أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري ثم أعطيت فضلي يعني عمر. قالوا فما أولته يا رسول الله؟ قال العلم". (7)

---

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2 ص 453-454.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3 ص59؛ ابن حنبل: فضائل الصحابة، ج1 ص498.

(3) ابن سعد: م. ن، ج3 ص28.

(4) العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة، ج4 ص 171.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2 ص 454.

(6) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص99.

(7) ابن حنبل: فضائل الصحابة، ج1 ص254؛ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت256هـ= 860م): الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، عدد الأجزاء6، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ= 1986م، ج6 ص2571.

والمقصود بالعلم هنا العلم بسياسة الناس، وبكتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. (1)

وعن قبيصة بن جابر قال: لم أر أحداً أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه في دين الله، ولا أقوم بحدود الله، ولا أهيب في صدور الرجال من عمر بن الخطاب. (2)

وروي لعثمان بن عفان رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم 146 حديث، وكان أعلم الناس بالمناسك عثمان بن عفان. (3)

عن عبد الرحمن بن حاطب قال: "ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حدث أتم حديثاً، ولا أحسن من عثمان بن عفان إلا أنه كان رجلاً يهاب الحديث".(4)

وقال عليّ – رضي الله عنه–تعلموا العلم، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه سيأتي من بعدكم زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم. (5)

وما كان أحد من الناس يقول: " سلوني " غير علي بن أبي طالب، ولم يكن في أصحاب النبي أعلم من علي، وقال ابن عباس: "إذا ثبت لنا الشيء عن علي، لم نعدل عنه إلى غيره". (6)

وقال عليّ والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي لسانا طلقاً. (7)

---

(1) ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت852هـ= 1448م): فتح الباري شرح صحيح البخاري، عدد الأجزاء 13، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ= 1959م، ج7 ص46.

(2) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج2 ص320.

(3) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص134.

(4) السيوطي: م. ن، ص134.

(5) ابن حنبل: كتاب الزهد، ج1 ص130.

(6) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج2 ص294.

(7) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2 ص338.

وعندما قتل عليّ بن أبي طالب قال الحسن بن علي – رضي الله عنهما–لقد فارقكم رجل ما سبقه الأولون بعلم ولا لحقه الآخرون. (1)

8- الشجاعة:

كان الخلفاء الراشدون شجعاناً فقد خطب عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال أيها الناس أخبروني بأشجع الناس، قلنا أنت يا أمير المؤمنين، قال أبو بكر رضي الله عنه، أنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً، فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوى إليه أحد من المشركين فو الله ما دنا منه إلا أبو بكر. (2)

ولما اجتمع أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–فكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور فقال: يا أبا بكر: إنا قليل فلم يزل أبو بكر يلح على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم, وقام أبو بكر في الناس خطيباً، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين. (3)

وعن عروة بن الزبير قال: سألت ابن عمرو بن العاص أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه. (4)

ومما يذكر عن شجاعة عمر بن الخطاب أنه لما أسلم، ظهر الإسلام ودعي إليه علانية، وجلس المسلمون حول البيت حلقات، وطافوا بالبيت، واستطاعوا القصاص ممن ظلمهم، برد ما فعل بهم له. (5)

---

(1) ابن حنبل: كتاب الزهد، ج1 ص134.
(2) البزار، أبي بكر بن عمرو بن عبد الخالق العتكي (ت292هـ= 904م): مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، عدد الأجزاء9، علوم القرآن بيروت–العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1409هـ= 1988، ج3 ص15؛ بن كثير: البداية والنهاية، ج3 ص331–332.
(3) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص38.
(4) البخاري: الجامع الصحيح المختصر، ج3 ص1400.
(5) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3 ص269.

ومما يذكر عن شجاعة عمر أنه لما أسلم استطاع المسلمون الظهور، فقد قال عبد الله بن مسعود: "ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر"، أي أصبحنا نستطيع أن نظهر ولا نخاف إيذاء المشركين. (1)

وقال عبد الله بن مسعود لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا. (2)

ومن شجاعة عثمان قبوله أمر الرسول بالذهاب إلى قريش يوم الحديبية، فصحيح أنه أمر رسول الله، إلا أنه لا يقبل بتنفيذه غير رجل شجاع. (3)

ومن شجاعة عثمان أثناء حصاره، أنه لم يتنازل عن الخلافة، خوفاً من الفتنة، رغم أنه يدرك أن الحصار كان هدفه قتله. (4)

وقد تحلى عليّ بن أبي طالب بالشجاعة فقد سجل له، نومه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يدافع عنه، فعندما اختلفت قريش في الهجوم على فراش النبي وتقييده، فإذا هم بعلي فسألوه، فقال لا علم لي، فعلموا أنَ النبي قد فر منهم. (5)

وفي غزوة الخندق برزت شجاعة عليّ بن أبي طالب، فلما وقف عمرو بن ود هو طالباً المبارزة، برز له علي بن أبي طالب، فقال له: إني أدعوك إلى النزال فقال له: لم يا بن أخي، فو الله ما أحب أن أقتلك، قال له علي لكني والله أحب أن أقتلك، ثم أقبل على عليّ فتنازلا فقتله علي رضي الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة، من الخندق هاربة. (6)

---

(1) البخاري: الجامع الصحيح المختصر، ج3 ص1448؛ ابن سعد: م. ن، ج3 ص270.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج3 ص270.

(3) الزهري: م. ن، ج2 ص96.

(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج2 ص666.

(5) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج7 ص236.

(6) ابن هشام: السيرة النبوية، ج4 ص182-183.

ثانياً– نشأة دولة المرابطين

حكم المرابطون دولة امتدت ما بين المغرب والأندلس، حيث ذكر أن موطنهم ما بين المحيط الأطلسي إلى غدامس [1] من جهة طرابلس [2] وبرقة [3]. [4]

والمرابطون يسكنون الصحراء، وابتعدوا عن الأرياف، وهجروا التلال، واستعاضوا عنها بألبان الأنعام ولحومها بعداً عن العمران، واستئناساً بالوحدة، صاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حاجزاً. [5]

وفي رأي آخر أن موطن هؤلاء المرابطين أرض الصحراء والرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان، ومساحة أرضهم نحو سبع أشهر طولاً في أربع عرضاً. [6]

وذكر ابن أبي زرع والإدريسي أن بلادهم مسيرة أربع أشهر من نول [7] لمطة [8] إلى أفريقية، وهي ما بين بلاد البربر والسودان. [9]

---

(1) غدامس بفتح أوله ويضم، وهي مدينة بالمغرب في جنوبيه ضاربة في بلاد السودان. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص187.

(2) طرابلس بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة ولام أيضا مضمومة وسين مهملة، ويقال أطرابلس، وطرابلس بالرومية والإغريقية تعني ثلاث مدن. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص25.

(3) برقة بفتح أوله والقاف، تشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. ياقوت: معجم، ج1 ص388.

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ= 1406م): تاريخ ابن خلدون، عدد الأجزاء7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. ط، ج6 ص181.

(5) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص181.

(6) الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد (ت1250هـ = 1835م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، عدد الأجزاء 3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ = 1997م، ج2 ص3.

(7) نول آخره لام وأوله مضموم وثانيه ساكن مدينة في جنوبي بلاد المغرب، وفيها قبائل من البربر. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص312.

(8) لمطة بالفتح ثم السكون وطاء مهملة أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب، يقال للأرض وللقبيلة معاً لمطة وإليهم تنسب الدرق اللمطية. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص23.

(9) الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، أوبسالة، دار الطباعة المدرسية، 1248هـ= 1833م، ص76؛ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د. ت. ط، ص224.

قيل أنهم يسكنون في الصحراء، ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام. (1)

وكانوا على دين المجوسية. (2). (3) ويذكر ابن خلدون أن إسلامهم لم يستقر حتى تم الفتح الإسلامي. (4) ويذكر الناصري أن إسلامهم كان بعد فتح الأندلس. (5) وأكثرهم على مذهب السنة والجماعة. (6)

لقد حرص قادة المرابطين على تعلم العلم الشرعي فيذكر أنه لما كانت سنة (427هـ= 1035م)، استخلف أميرهم يحيى بن إبراهيم من قبيلة جدالة (7) من لمتونة (8) ابنه، ورحل إلى المشرق يريد الحج، فلما رجع إلى بلاده مر في طريق عودته بالقيروان (9) فلقي بها الشيخ الفقيه

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1399هـ= 1978م، ص17.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص108.

(3) ابن خلدون: م. ن، ج6 ص181.

(4) م. ن، ج6 ص110.

(5) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص5.

(6) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص76؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص224.

(7) تنقسم صنهاجة إلى سبعين قبيلة، منهم لمتونة، ومسوفة، وجدالة، ولمطة، ومسوفة، ومسراتة، وتلكاتة، ومداسة، وبنو وارث، وبنو موسى، وبنو لماس، وبنو فشتال، وهم صحراويون، وصنهاجة تنتسب إلى صنهاج من ولد عبد شمس ابن وائل بن حمير. ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت 776هـ = 1374م): أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق: أحمد العبادي، عدد الأجزاء3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ج3 ص225، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص75؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص181.

(8) لمتونة هم فخد من صنهاجة وصنهاجة فخد من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، وقيل صنهاجة فخد من هوارة وهوارة فخد من حمير، من ولد الحصوري بن وائل بن حمير. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص75.

(9) القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان، وهي مدينة عظيمة بإفريقية، وليس بالغرب مدينة أجل منها إلى أن قدمت العرب إفريقية وأخربت البلاد فانتقل أهلها عنها، وهي مدينة مصرت في الإسلام في أيام معاوية – رضي الله عنه–. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص420.

أبا عمران الفاسي [1]، وحضر مجلس درسه وتأثر بوعظه، فلما رآه الشيخ أبو عمران محباً في الخير سأله ما هو مذهبهم فقال إنهم قوم غلب عليهم الجهل، وليس لهم كبير علم، إلا أنه حريص على التعلم ، فقال له الشيخ وما يمنعك من تعلم العلم، فقال يا سيدي عدم وجود عالم بأرضي، وليس في بلادي من يقرأ القرآن فضلا عن العلم، ومع ذلك فأهل أرضي يحبون الخير ويرغبون فيه لو وجدوا من يقرئهم القرآن، ويدرس لهم العلم، ويفقههم في دينهم ويعلمهم الكتاب والسنة وشرائع الإسلام، فلو بعثت معي بعض طلبتك يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين فينتفعون به. [2] فتم اختيار عبد الله بن ياسين [3]. [4]

فذكر ابن الأثير أنه شرع يعلمهم القرآن، ويقيم لهم الدين، ويسوسهم بآداب الشرع، وجعل يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر فلما رأوه شدد في ترك ما هم عليه من المنكرات، وألح في ذلك تركوه واستصعبوا علمه وتركوا الأخذ عنه. وقالوا: "أما ما ذكرت من الصلاة والزكاة فهو قريب، وأما قولك من قتل يقتل، ومن سرق يقطع، ومن زنا يجلد أو يرجم، فأمر لا نلتزمه اذهب إلى غيرنا" فرحل عنهم". [5]

فلما رأى عبد الله بن ياسين إعراضهم عنه واتباعهم لأهوائهم عزم على الرحيل عنهم إلى بلاد السودان، الذين دخلوا في دين الإسلام، فلم يتركه يحيى بن إبراهيم، فدخلا جزيرة في

---

(1) موسى بن عيسى بن أبي حاج، أصله من مدينة فاس، دخل قرطبة من الأندلس، فروى عن علمائها، وأقام في القيروان يتفقه على يد علمائها، وتوفي بها 430هـ. ابن القاضي، أحمد المكناسي (ت960م= 1025هـ): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، عدد الأجزاء2، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ج2 ص344-345.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص77-78؛ محمود، حسن: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ص112.

(3) عبد الله بن ياسين الجزولي، بعثه أبو عمران الفاسي إلى لمتونة، فلما رأى منهم الحزم في إقامة الدين، واتباع السنة وإحيائها، ندبهم إلى فتح بلاد المغرب فأجابوه إلى ذلك إلى أن توفي 451هـ. السملالي، العباس بن إبراهيم (ت1378هـ= 1958م): الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، عدد الأجزاء10، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1403هـ= 1983م، ج8 ص183.

(4) البكري، أبى عبيد (ت487هـ= 1085م): المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت. ط، ص165؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص78.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8 ص328.

البحر ودخل معهما سبعة نفر من جدالة، وابتنى عبد الله رابطة هناك، وأقام في أصحابه يعبدون الله تعالى مدة ثلاث أشهر، فتسامع الناس بهم، فكثر الواردون عليهم، فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن ويستميلهم إلى الخير، ويرغبهم في ثواب الله، ويحذرهم عقابه، حتى تمكن حبه من قلوبهم، فلم تمر عليه إلا مدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة نحو ألف رجل، وسماهم المرابطين للزومهم رابطته، ولما تفقهوا في الدين، أمرهم بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم دعاهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة. (1)

وقد اختار عبد الله بن ياسين رجال ذلك الرباط من الرجال الذين اتبعوا طريق الاستقامة، فقد حرصوا على الجهاد في سبيل الله، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وكانوا يحبون فعل الخير، ويطيعون قائدهم، ويتميزون بالشجاعة التي مكنتهم من قتال القبائل الأخرى.

ولما عزم علي بن يوسف على تولية ابنه سير ولاية عهده، جمع أهل الحل والعقد من الفقهاء والقضاة، وبني عمه، وأخويه تميماً وإبراهيم المشتهر بابن تاغيشت، فسلم الأمر لابنه سير، وشهد الشهود بذلك، وكملت البيعة له، وأرسل بها إلى باقي الأقطار، والتزم الناس بقبولها، ونظر سير في أمور الجيش، والأحكام، والولايات، والعزل، ورد المظالم، وتكلم الناس في موته بأحاديث شنيعة. (2) وهذا يدل على حرص قادة المرابطين على اختيار مبدأ الشورى الذي يعد من الركائز الأساسية للحكم الرشيد فهو يدل على رضا المحكوم عن الحاكم وطاعته له.

هذه بعض النماذج التي اكتفينا بها للدلالة على استقامة هذه القيادات الأولى من دولة المرابطين، وكيف أنها استطاعت تكوين دولة قوية، فقد حرص هؤلاء القادة على طاعة الله والتمسك بسنة نبيه، والعدل مع الرعية، والحرص على العلم وهي من أبرز معالم الاستقامة التي هي أساس الحكم الرشيد، ولكن في أواخر الدولة بدأ الضعف يدب فيها نتيجة لتخلي أواخر حكامها عن اتباع المنهج المستقيم الذي اختطه عبد الله بن ياسين مؤسس تلك الدولة وغيره، مما مهد لنهايتها فيما بعد وظهور دولة الموحدين على أنقاضها.

---

(1) الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص8-9.

(2) ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد (ت712هـ= 1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، عدد الأجزاء4، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ= 1983م، ج4 ص78-79؛ ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت 776هـ = 1374م): الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عنان، عدد الأجزاء4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1393هـ= 1973م، ج1 ص446.

الفصل الأول: استقامة حكام المرابطين

المبحث الأول: الشـــورى عند حكـــام المــرابطين

المبحث الثاني: الورع والتقوى عند حكام المرابطين

المبحث الثالث: زهـــد حـكـــام المـــرابطــــين

المبحث الرابع: تواضــــــع حـــكـــام المــرابطين

المبحث الخامس: تفـــقـــد حكام المرابطين للرعية

المبحث السادس: شـــجـــاعـــة حـكام المرابطين

المبحث الأول

الشورى عند حكام المرابطين

تحلى أمراء المرابطين بكثير من أخلاق وصفات الخلفاء الراشدين، وتميزوا بأخلاقهم عن غيرهم من الحكام، وقد استمدت تلك الصفات من القرآن الكريم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام، وسنعرض إلى أهم تلك الصفات التي ميزتهم، وجعلت حكمهم أقرب إلى حكم الخلفاء الراشدين، من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أهم هذه الصفات التي تميزوا بها:

الشورى:

تعرف لغة بأنها مصدر من شار العسل : استخرجه من الخلية، فالشورى تعتمد على استخراج الرأي الأنسب من الآراء حول مسألة ما، من أناس يحسنون الإدلاء بآرائهم في الأمور التي تعترض الأمة الإسلامية، وفحصها والموازنة بينها، لاختيار أنفعها وأصلحها [(1)]، وقد وردت الشورى في القرآن الكريم "وشاورهم في الأمر [(2)]"، وقد حرص رسول الله على استشارة الصحابة في الأمور التي تعترضه، وقد حرص حكام المرابطين على الشورى كمبدأ أصيل للحكم الرشيد، فهذا يوسف بن تاشفين [(3)] لما وصله كتاب ابن عباد [(4)]، يدعوه إلى دخول

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج4 ص434.

(2) سورة آل عمران، آية 159.

(3) يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت بو وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية بن واتملي الحميري الصنهاجي، من ولد عبد شمس بن وائل بن حمير، أمه اسمها فاطمة. السملالي: الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام، ج10 ص299؛ الزركلي: الأعلام، ج4 ص149.

(4) المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي إشبيلية بن أبي الوليد إسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم، اللخمي من أبناء النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة؛ كان المعتمد المذكور صاحب قرطبة وإشبيلية وما والاهما من جزيرة الأندلس، وفي سنة 484هـ هاجم عسكر الأمير يوسف البلد وشنوا الغارات، وقبض على المعتمد وأهله، وكان قد قتل له ولدان قبل ذلك، أحدهما المأمون، والثاني الراضي. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681م= 1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، عدد الأجزاء7، دار صادر، بيروت، 1390هـ= 1971م، ج5 ص21، 30.

الأندلس، أخبر به إخوته، وبني عمه، وطلب مشورتهم ماذا يفعل في هذا الكتاب، فأشاروا عليه بضرورة أن يعين المسلم أخاه المسلم، وأن لا يتركوا المسلمين لينفرد الأعداء بهم، ولكن الرأي في النهاية له. (1)

ومن هنا يتضح حرص يوسف على عدم الإقدام على أي خطوة مهمة تخص المرابطين بدون الرجوع إلى استشارتهم في الأمر، حتى لا يتحمل صواب أو خطأ رأيه لوحده، وحتى يصل معهم إلى قرار صحيح.

ثم استشار يوسف كاتبه عبد الرحمن بن أسباط، الذي كان أندلسياً من أهل المرية (2)، فأخبره أن هناك كلاماً يجب أن يقال له، فقال له يوسف، قل ما عندك، فطلب منه أن يطلب من ابن عباد أن يعطيه الجزيرة الخضراء (3)، كي ينسحب إليها متى أراد، ولا يحصر بها، لأن الأندلس صغيرة لا يمكن الخروج منها إلا بإذن ابن عباد، فقال له لقد نبهتني على أمر لم يكن ببالي، ووافق يوسف على ذلك، وأرسل إلى ابن عباد بذلك. (4)

فقد حرص يوسف على استشارة كاتبه وهو من أهل الأندلس، التي لم يرها في حياته قط، وإنما كان حريصاً على استشارة أهل الرأي فيها، وتطبيق رأيهم لأنهم أصحابها وأكثر خبرة منه في معرفة تلك البلاد.

وحرص يوسف على الشورى في اختيار ولي عهده علي ففي سنة (496هـ= 1102م)، ولى عهده للأمير أبي الحسن عليّ، بعد استشارة أهل الرأي، ورضاهم عما رضيه هو من

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص48-49.

(2) المرية بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء، يجوز أن يكون من مري الدم يمري إذا جرى، ويجوز أن يكون من الشيء المري فحذفوا الهمزة، وهي مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس، وكانت محل التجارة، وعمل الديباج. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص119-120.

(3) الجزيرة الخضراء مدينة مشهورة بالأندلس وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة، ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضاً وسورها يضرب به ماء البحر ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر لكنها متصلة ببر الأندلس لا حائل من الماء دونها، ولعلها سميت بالجزيرة لمعنى آخر وهو إن الجزيرة في كلام العرب أرض في البحر يفرج عنها ماء البحر فتظهر، ومرساها من أجود المراسي للعبور، وقد نسب إليها جماعة من أهل العلم منهم أبو زيد عبد الله بن عمر بن سعيد التميمي الجزيري الأندلسي. ياقوت: معجم البلدان، ج2 ص136.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص49-50.

اختيار ولده عليّ، ورأوه أهلاً لخلافة والده، فأحضره مشترطاً عليه بعض الشروط، فقبل ورضي، وتمت خلافته على المسلمين بعد أن استخار والده الله في ذلك. (1)

وحرص عليّ بن يوسف (2) على الشورى ففي رسالة بعث بها إلى أخيه تاشفين (3) سنة (526هـ= 1131م)، يطلب منه فيها التزام الشورى عندما يشتبه عليه أمر ما (4)، اقتداءً بقول الله تعالى لنبيه: "وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله (5)".

ولما أراد عليّ بن يوسف تولية ابنه سير ولاية عهده، جمع أهل الحل والعقد من الفقهاء والقضاة، وبني عمه، وأخويه تميماً وإبراهيم (6) المشتهر بابن تاغيشت، وشاورهم في الأمر، فسلم الأمر لابنه سير، وشهد الشهود بذلك، وكملت البيعة له، وأرسل بها إلى باقي الأقطار، والتزم الناس بقبولها، ونظر سير في أمور الجيش، والأحكام، والولايات، والعزل، ورد المظالم.(7)

وكان حرص عليّ على ذلك نابعاً من تأكيد اختيار الشعوب لحكامها، كما نصت عليه الشورى في الإسلام، وحتى لا تكون هناك حجة للشعب في عدم الثقة بحاكمه.

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 78-80.

(2) عليّ بن يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني، أمه رومية تسمى منوا، بويع بعد وفاة أبيه سنة 500هـ، وملك من بجاية إلى آخر بلاد السوس، وبلاد الأندلس، توفي سنة 537هـ. ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج2 ص459-460.

(3) تاشفين بن عليّ بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني، أمه رومية اسمها ضوء الصباح، بويع 537هـ أيام ظهور الموحدين، ملك مدينة فاس وغيرها، توفي 539هـ. ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج1 ص170-171.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص87.

(5) سورة آل عمران، آية 159.

(6) إبراهيم بن تاشفين بن علي بن يوسف اللمتوني، الحميري، أمير المسلمين، أبو إسحاق آخر ملوك دولة المرابطين، كان مع أبيه في قتاله للموحدين ووجهه أبوه إلى مراكش بعد أن ولاه عهده، وقتل أبوه بعد شهر، فبويع له في مراكش 539 هـ والدولة في اضطراب واندحار، وقد واصل عبد المؤمن زحفه من وهران إلى تلمسان إلى فاس فمراكش، ودافع أصحاب إبراهيم أشد الدفاع فلم ينفعهم، وأخذ إبراهيم ومن بقي معه إلى عبد المؤمن ملك الموحدين، فأمر بقتله ومن معه جميعاً. وبموته انقرض ملك المرابطين وكانت مدتهم 90 سنة بالمغرب، وبالأندلس 56 سنة. الزركلي: الأعلام، ج1 ص34.

(7) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص78-79؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص446.

ولما اجتمع المرابطون، ووقع اتفاقهم على أن يكون ولى العهد بعد أمير المسلمين عليّ بن يوسف ولده تاشفين لشهامته وشجاعته، ورجاحة عقله، ولما ظهر منه في الأندلس من قتال الأعداء، فلم يستطع مخالفتهم، واستخلفه عليهم بعده، ونقش اسمه في الدنانير والدراهم مع اسمه. (1)

فقد حرص عليّ على عدم إغضاب المرابطين، وتولى الحكم من يرضونه، وذلك منعاً للخلاف، وحرصاً على وحدة الصف الإسلامي.

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص98؛ مجهول: الحلل الموشية، ص120؛ بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص447؛ الكتامي، أبي محمد حسن بن على بن محمد بن عبد الملك (ت منتصف القرن7هـ): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ= 1990م، ص267.

المبحث الثاني

الورع والتقوى عند حكام المرابطين

فالورع لغة التحرج، وتورع عن كذا، أي تحرج عن فعله. (1) وهي مأخوذة من وقى وقاية، وهي أن تجعل بينك وبين عذاب الله عز وجل وقاية وهي الحاجز. (2)

ويعرف اصطلاحاً بأنه: اجتناب الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات (3)، وهي اتقاء الشبهات كما طلب النبي ذلك. (4) وكذلك عدم الإصرار على المعصية، والوصول إلى أكمل الطاعات، والخوف والخشية من الله، والمبالغة في اجتناب المحرمات، وفعل الواجبات حتى يكون ذلك الغالب على الشخص. (5) والإخلاص في طاعة الله، وصيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، وقيل الاهتداء بالنبي عليه السلام قولاً وفعلاً. (6)

وتؤكد مصادرنا التاريخية المغربية أن أمراء المرابطين تميزوا بحبهم الشديد للإسلام، وحرصهم على الالتزام به، فقد وصف ابن أبي زرع والناصري قبائل المرابطين بأنها:

"قبائل بدوية، لكنها على دين متين، ونية خالصة صادقة، وصحة مذهب" (7). وكانوا أقواماً ربتهم الصحراء، نيتهم صالحة لم تفسدها الحضارة، ولا مخالطة الآخرين. (8)

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج8 ص388.

(2) ابن منظور: م. ن، ج15 ص501

(3) الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت816هـ= 1413م): التعريفات .تحقيق :إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ= 1984م، ص325؛ الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت487هـ= 1094م): كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ= 1998م، ص944.

(4) القرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي (ت684هـ= 1285م): الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق خليل المنصور، عدد الأجزاء 4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ= 1997م، ج4 ص368.

(5) القرافي: الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، ج2 ص103.

(6) الجرجاني: التعريفات، ص90.

(7) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص108؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص73-74.

(8) مجهول: الحلل الموشية، ص82.

فصحيح أن قبائل المرابطين كانت قبائل بدوية خشنة العيش إلا أنها استطاعت أن تتبع الدين الإسلامي بفطرتهم التي جبلوا عليها وحبهم للخير، وكان دينهم صحيحاً خالياً من العيوب، واستطاعوا الدفاع عنه.

ومن أعظم ما يمكن للإنسان أن يتقرب به لله، هو بناء المساجد للصلاة فيها، وقراءة القرآن، وتجهيز حدود الدولة لصد الأعداء عنها، وقد حرص المرابطون على ذلك من شدة تقواهم وخوفهم من الله فوصفهم ابن خلدون " بأنهم يتخذون المساجد بصحن دورهم [1]، وكانوا يعمرون مساجدهم بالصلاة والتسبيح، وكانوا يرتبون القراء لكتاب الله في المساء والصباح، وحصنوا حدود المسلمين بالبنيان، والكتائب المجهزة، وإنفاق الأموال في سبيل الله شهدت عليهم بذلك أعمالهم التي خلفوها. [2]

وقد مدح ابن كثير أخلاق أمراء المرابطين من حب لله، وحرصهم على إعلاء كلمة الدين حيث تحدث عن قيام دولة المرابطين في المغرب وما اتصفت به حيث قال وفي سنة (448هـ= 1056م)، ظهرت دولة الملثمين ببلاد المغرب، وأظهروا إعزاز الدين وكلمة الحق"[3]

ويلاحظ المتأمل في الروايات التاريخية التي بين أيدينا والتي تتحدث عن حكام المرابطين اتصافهم بالتقوى إذ يروى أن الأمير أبا بكر [4] كان رجلاً صالحاً متورعاً". [5] وأنه: " يقيم الحدود ويحفظ محارم الإسلام، ويحوط الدين ويسير في الناس سيرة شرعية، مع صحة اعتقاده ودينه. [6] "وهذا يدل على إقامة حدود الله التي هي من أكثر الطرق المؤدية إلى طاعة الله وحفظ حقوق الرعية، والعدل معهم، وهي من طرق الاستقامة، وكذلك حفظ بلاد المسلمين من أعدائها، بما ملك من صحة عبادة قربته من طاعة الله.

---

(1) صحن الدار: ساحة وسط الدار. ابن منظور: لسان العرب، ج13 ص244.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص104-105.

(3) البداية والنهاية، ج12 ص87.

(4) أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين اللمتوني، ولاه عبد الله بن ياسين مكان أخاه أبا بكر بن عمر448هـ، غزا الكثير من مناطق المغرب، إلى أن استشهد في إحدى معاركه مع السودان 548هـ. السملالي: الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام، ج1 ص196-204.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص82.

(6) ابن كثير: البداية والنهاية، ج12 ص165.

ووصف يوسف بأنه كان محافظاً على الدين مستشعراً للتقوى. [1] حيث كان حريصاً على بناء المساجد لتربيته الدينية الصحيحة فيذكر أنه كلما دخل مدينة أمر ببناء المساجد في جميع أحيائها وشوارعها، وأي زقاقٍ لم يجد فيه مسجداً عاقب أهله وأجبرهم على بناء مسجد فيه، كما حصل في مدينة فاس [2] عندما دخلها. [3]

ومن الدلائل على حسن صلة يوسف بن تاشفين بالله تعالى أنه كان إذا وعظه أحد خشع عند استماع الموعظة ورق قلبه لها وظهر تأثير ذلك عليه. [4]

ومما يذكر عن ورع يوسف وتقواه أنه لما ركب السفينة للذهاب للأندلس، واستقر عليها، رفع يديه ودعا الله تعالى ومما قاله: "اللهم إن كنت تعلم أن في جوازي هذا خيراً وصلاحاً للمسلمين فسهل علىَ جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك فصعبه علىَ حتى لا أجوزه" فسهل الله عليه هذا الجواز في أسرع ما يكون". [5]

وقد أمر الإسلام بالعفو عند المقدرة، وهذا مبدأ طبقه يوسف بن تاشفين، فقد وصف يوسف بأنه: كثير الخوف من الله، يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام، وأكبر عقابه الاعتقال الطويل. [6]

---

(1) ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت 776هـ = 1374م): أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق ليفى بروفنسال، عدد الأجزاء8، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ط2، 1375هـ= 1956م، ج2 ص231.

(2) فاس بالسين المهملة، مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها إلا غرناطة بالأندلس، وبفاس يصبغ الأرجوان والأكسية القرمزية، وقلعتها في أرفع موضع فيها يشقها نهر يسمى الماء المفروش، وهي عبارة عن مدينتين مسورتين، هما عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين وأسست عدوة الأندلسيين في سنة 291 وعدوة القرويين في سنة 391هـ. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص230.

(3) الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص29.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص99.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص93.

(6) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص99؛ مجهول: الحلل الموشية، ص82؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ= 1374م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، عدد الأجزاء52، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ = 1987م، ج34 ص336؛ السملالي: الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام، ج10 ص299.

وتدل العبارات الإيمانية الواردة في نقد يوسف بن تاشفين على ما يجول بنفسه من إيمان قوي بالله، فكانت النقوش على نقوده هي الملك والعظمة لله. (1)

وقد حث رسول الله – صلى الله عليه وسلم–على أن نأكل مما نصنع، فعن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قال: "ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده". (2) وعملاً بسنة النبي فقد كان يوسف بن تاشفين يأكل من عمل يده. (3)

ومما يدل على ورعه عدم خروجه على ولي الأمر، فلما ملك الأندلس جمع الفقهاء، وأحسن إليهم، فقالوا له: ينبغي أن تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على العامة، فأرسل إلى الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين رسولاً ومعه هدية، وكتب معه كتاباً يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج، وطلب أن يولى على تلك الأماكن، فوافق الخليفة على ذلك، ولقب أمير المسلمين. (4)

وعملاً بقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم–القائل: " من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد"(5)، كره يوسف بن تاشفين الاستدلال بالنجوم تمسكاً بسنة النبي فقد ذكر في غزوة الزلاقة (6) أن المعتمد بن عباد أمر منجمه بتحقيق الوقت، والنظر فيه، قال: فوجده بحسب ما تقتضيه أصول تلك الصنعة، دالاً على أن الهزيمة تكون للمسلمين، وأن النصر يكون للمشركين، فانزعج المعتمد من ذلك، وكره أن يخبر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بذلك، لكرهه الاستدلال بالنجوم. (7)

---

(1) السملالي: الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام، ج10 ص301.

(2) البخاري: الجامع الصحيح المختصر، ج2 ص730.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص82؛ السملالي: الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام، ج10 ص299.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص99.

(5) البزار: مسند البزار، ج5 ص256.

(6) الزلاقة بفتح أوله وتشديد ثانيه وقاف، من قولهم مكان زلق أي دحض، وزلقت رجله تزلق زلقاً، والزلاقة الموضع الذي لا يمكن الثبوت عليه من شدة زلقه، والتشديد للتكثير، والزلاقة أرض بالأندلس بقرب قرطبة كانت عندها وقعة في أيام أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مع ألفونسو ملك الفرنج مشهورة. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص146.

(7) مجهول: الحلل الموشية، ص57–58.

ومن الصفات التي تحلى بها علي بن يوسف صيام النهار، وقيام الليل، وتلاوة القرآن، وإخفاء الصدقة، وإنشاء العدل، وإيثار الحق". (1)

وكما كان يوسف بن تاشفين ورعاً تقياً فقد خلفه ابنه الذي لم يقل ورعاً وتقوى منه فقد كان علي بن يوسف ورعاً صالحاً كما وصفه الإمام الذهبي. (2)

وقد حرص عليَ على إخراج الصدقات، وكان عظيم الاهتمام بالناس والبر بهم، وكان يعطي الأموال بكثرة، مما مكن له المهابة في قلوب الناس. (3)

وما يدل على حرصه على التمسك بالتقوى تلك الرسالة التي أرسلها إلى أخيه تاشفين سنة (526هـ= 1131م)، يقول له فيها: " وأول ما نوصيك به تقوى الله ". (4)

وقد استمر حكام المرابطين في الخوف من الله، والحرص على الخير، فوصف تاشفين بأنه كان يسير في طريق الشريعة الإسلامية، كما سار عليها من قبله من المرابطين. (5)

وكان تاشفين يسلك طريق الشريعة، مائلاً إلى طريقة المستقيمين، وقيل إنه لم يشرب قط مسكراً، ولا فضل الصيد الذي كان يلهو به الملوك، ولا لبس شيئاً مما تلبسه الملوك، وحكم أهل الأندلس بالاستقامة، واتباع أمور الشريعة. (6)

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2 ص449.

(2) سير أعلام النبلاء، ج20 ص124.

(3) مجهول: الحلل الموشية ص84.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص87.

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص121.

(6) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص448؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص256؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص79.

المبحث الثالث

زهد حكام المرابطين

الزهد:

يعرف الزهد لغة بأنه عدم الحرص على الدنيا، وعدم الرغبة في الشيء والإعراض عنه.[1]

ويعرف اصطلاحاً بأنه: كره الدنيا، والإعراض عنها [2]، وهو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة. [3] وهو الإعراض عن متاع الدنيا ولذاتها. [4] وهو ليس الحرص على عدم امتلاك الأموال، بل عدم تعلق القلب بمتاع الدنيا والأموال. [5]

ومن هذه التعريفات يتضح أن الزهد ليس هو عدم وجود المال، بل عدم التعلق به هو كل شهوات الحياة وملذاتها، وقد حث الدين الإسلامي على عدم المبالغة في متع الدنيا، والتوسط والاعتدال في كل ما يتعلق بمطالب الدنيا.

وقد حرص حكام المرابطين على الزهد في حياتهم، والابتعاد عن ملذات الدنيا، حتى لا تفسدهم أمور الحياة، فتحلوا بتلك الصفة وشجعوها، باعتبارها صفة من صفات الحكم الرشيد.

فهذا أميرهم عبد الله بن ياسين كان من أهل الزهد في الدنيا، وعرف بذلك في بلاد السودان. [6]

وقد تنازل أبو بكر ابن عم يوسف بن تاشفين عن الحكم، وكان زاهداً فيه، فأحضر أشياخ لمتونة، وأعيان الدولة، وأمراء المصامدة، والكتاب والشهود، والخاصة والعامة، وأشهد

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج3 ص196.

(2) الجرجاني: التعريفات، ص153.

(3) الجرجاني: م. ن، ص153.

(4) الكفوي: كتاب الكليات، ص490.

(5) القرافي: الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، ج4 ص366.

(6) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص80.

على نفسه بالتخلي عن الأمر بالمغرب، وودعه الأمير يوسف بن تاشفين، وعاد الأمير إلى أغمات [1]، ورجع يوسف إلى مراكش. [2]

وهذا يعكس حرصهم على أمور المسلمين، وعدم حرصهم على الحكم، لأنهم يدركون بحكم تربيتهم الدينية أنهم وجدوا لخدمة المسلمين.

وهذا أميرهم يوسف بن تاشفين كان زاهداً. [3] ولم يكن بعد عمر بن عبد العزيز أزهد في الدنيا منه، ولا أعدل منه. [4] فبعد معركة الزلاقة تم جمع الغنائم، فتخلى عنها يوسف بن تاشفين وفضل بها ملوك الأندلس، وأخبرهم أن غرضه كان الجهاد فقط، فلما رأت ملوك الأندلس تفضيل يوسف ابن تاشفين لهم بالمغانم أحبوه وشكروا له. [5]

ويذكر أنه لما رجع من معركة الزلاقة، أخذه المعتمد بن عباد إلى بلاده بعد أن طلب منه ذلك، فلما وصل إلى إشبيلية [6] مدينة المعتمد، وكانت من أجمل المدن، وفي جانب المدينة قصور المعتمد وأبيه المعتضد، وفيها أنواع ما يحتاج إليه من الطعام والشراب والفراش، فنزل يوسف في إحدى القصور، وكان معه أصحاب له ينبهونه على تأمل حال المعتمد وما هي عليه من النعمة، وينصحونه باتخاذ مثلها لنفسه، ولكن يوسف بن تاشفين معتدلاً في أموره غير مبذر في صنوف بالأطعمة وغيرها، فأنكر عليهم ذلك، وقال لهم إن هذا الرجل مضيع ملكه. [7]

---

(1) أغمات من بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش، وهي مدينتان متقابلتان، ويوجد بها كل أصناف الخيرات، وأهلها فرقتان يقال لإحداهما الموسوية والأخرى مالكية حشوية، وبينهما القتال الدائم، وهي للمصامدة يدبغ بها جلود تفوق جودة على جميع جلود الدنيا وتحمل منها إلى سائر بلاد المغرب. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص225.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص26–27.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص82؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص119.

(4) السملالي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج10 ص308.

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج7 ص117.

الزركلي: الأعلام، ج4 ص149.

(6) أشبيلية بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة ولام وياء خفيفة، وأشبيلية قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف، وهي على شاطئ نهر عظيم قريب في العظم من دجلة أو النيل، وفي كورتها مدن وأقاليم. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص195.

(7) ابن خلكان: م. ن، ج7 ص119.

ولنا أن نقارن بين أولئك الملوك الذين اعتادوا حياة الترف، وبين ذلك الفاتح المسلم الذي لم تغره ملذات الدنيا، وبقي كما عاش في الصحراء بسيطاً، لندرك أن ملوك الأندلس ضيعوها وملكوها لأعدائها، بينما استطاع يوسف أن ينقذها ويعيد إليها تلك الوحدة التي فقدتها منذ زمن بعيد، ولذلك كان غضب ابن تاشفين من المعتمد بن عباد لما رأى ترفه الشديد، وتبذيره وسوء صنيعه في بلاده.

وذكر أن يوسف بن تاشفين كان زاهداً في الدنيا رغم ما فتح الله عليه من البلاد، فلم يلبس في حياته سوى الصوف، ولم يأكل سوى الشعير ولحوم الإبل وألبانها، وبقي على ذلك طوال حياته إلى أن مات، على الرغم مما منحه الله إياه من الملك الواسع، والنعم التي ملكها.(1)

فقد أراد يوسف الجهاد من أجل إعلاء كلمة المسلمين، ولم يكن همه الحصول على شتى أنواع الطعام والشراب والغنائم، بل تركها لمن أرادها، فهذه الشخصية استطاعت أن تفهم الدين بشكله الصحيح، الذي لم يدع إلى البخل على النفس أو الإسراف.

وكان عليّ بن يوسف يعد في الزهاد والعابدين رغم حكمه لبلاد المسلمين، ولا يعد في الملوك والمسيطرين على أمور الحكم. (2)

ومما يعكس روح الزهد عند المرابطين حبهم للزهاد فقد كان تاشفين بن علي حريصاً على زيارة قبر أبي وهب الزاهد بقرطبة. (3) وتنازل تاشفين بن يوسف عن الحكم لأخيه علي عندما اجتمعت الأمة على أخيه، واتفقت عليه الكلمة، وبايعه أخوه الأمير أبو طاهر تميم، وكان أكبر سنًا منه. (4)

وهذا يدل على أن هدفهم كان خدمة المسلمين في أي موقع، وليس بالشرط أن يكونوا في الحكم، وهذا يعكس قمة أخلاق المسلم، وحرصه على الرعية.

---

(1) السملالي: الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام، ج10 ص298؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، أوبسالة، ص87؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص231؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص60.

(2) عبد الواحد، بن على التميمي المراكشي (ت669هـ= 1270م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد العريان، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص171.

(3) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2 ص449.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص84.

المبحث الرابع

تواضع حكام المرابطين

التواضع:

يعرف التواضع لغة بأنه مأخوذ من وضع، التي تدل على الخفض للشيء وحطه. [1]

ويعرف اصطلاحاً: بأنه يجب أن لا ترى لنفسك قيمة، [2] وهو ولين الجانب [3]، وهو قبول الحق. [4]

وقد حث الإسلام على التواضع، وأحب الله المتواضعين، فقد قال الله تعالى: " واخفض جناحك للمؤمنين"، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه ". [5]

وتحلى حكام المرابطين بخلق التواضع انطلاقاً من التزامهم بمبادئ الشريعة الإسلامية، فهذا الأمير أبو بكر يشارك العمال في العمل سنة بأساس مراكش، واشترك في بنائه أشياخ المصامدة والبنائين وغيرهم، وأعان الأشياخ على البناء بالمال والرجال. [6]

وقد اقتدى بسيدنا محمد عندما شارك المسلمين في غزوة الأحزاب، وهذا يقربه من الناس، ويجبرهم على طاعته.

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج8 ص396.

(2) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت751هـ= 1350م): مدارج السالكين بين منا زل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق :محمد حامد الفقي، عدد الأجزاء3، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1393هـ= 1973م، ج2 ص329.

(3) ابن القيم: م. ن، ج2 ص329.

(4) ابن القيم: م. ن، ج2 ص329.

(5) البخاري: الجامع الصحيح المختصر، ج5 ص2384.

(6) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص19-20؛ مجهول: الحلل الموشية، ص120.

ووصف يوسف بن تاشفين بأنه كان حسن الأخلاق متواضعاً. (1) وعمل يوسف بن تاشفين بيده في بناء المسجد في مراكش، فكان يعمل في الطين والبناء مع العمال تواضعاً منه. (2)

ومع ما فتح الله عليه من البلاد لم يتخذ يوسف لقب الخليفة، تواضعاً منه، ورغبة في التقرب إلى الله، فقد رأى أن يخاطب باسم أمير المؤمنين وناصر الدين، وأن تخرج الكتب عنه بذلك إلى الأقطار، وأن ترد الكتب إليه من الأقطار الإسلامية بذلك، إذ أن كل من يتسمى بغير هذا الاسم متسم بما لا يستحقه منه. (3)

وأوصى بأن تتم مخاطبته بهذين الاسمين في الكتب عنه واليه، والدعاء له بهما على منابر أعماله، وأن يعتمدا في أعلامه، وطرازه، ودنانيره، ودراهمه، ونفذ الأمر بذلك، وجرى العمل عليه إلى آخر مدته، فكان ذلك سنة باقية سنها في حياته، وجاء من بعده ليسلكوا سبيله في ذلك إلى زوال دولتهم. (4)

وقد تمسك يوسف بالتواضع، وأحب الالتزام به من ولاته، سيراً على نهجه مع الناس، فكره يوسف الكبر وذلك أنه كان إذا دخل عليه رجل طويل الثياب شدها، وأعرض عنه، فإن كان ذا ولاية عزله. (5)

واتصف ابنه عليّ بن يوسف بالتواضع مع الناس، وأنه كان حسن المعاملة معهم، (6) فكان حسن الأخلاق متواضعا كثير الحياء جامعا لخصال الخير. (7)

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص88.

(2) ابن أبي زرع: م. ن، ص89.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص32.

(4) مجهول: م. ن، ص31.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج34 ص339.

(6) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2 ص449.

(7) الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص60؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج10 ص299.

ومن حرصه على التواضع، وعدم تفضيله على المسلمين أمر عليّ بن يوسف قبل وفاته سنة (537هـ= 1142م)، بأن يدفن بين قبور المسلمين. (1)

وفي سنة (526هـ= 1131م)، أرسل عليّ بن يوسف رسالة إلى تاشفين يطلب منع العدل مع الناس، لأنه واحد منهم، وكلهم عبيد الله من تراب وعلى الله حسابهم، فكل الناس سواء في النشأة والحال، وإنما يتميزون بمسعاهم إلى الخير والأعمال التي يقومون بها، فهي التي رفع الله منها بعضهم فوق بعض درجات، وبها يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ". (2)

ومن هذه الرسالة يتضح حرص عليّ على سلوك التواضع مع الرعية، وحث حكامه عليه، لأن ذلك من أخلاق الإسلام التي يحمد صاحبها عند الناس.

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص15.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص87.

المبحث الخامس
تفقد حكام المرابطين للرعية

حرص حكام المرابطين منذ نشأة دولتهم على تفقد أحوال الرعية، كما حرص عليها من سبقهم من حكام المسلمين، فطاف حكام تلك الدولة المدن لمعرفة أحوال المسلمين، والسؤال عن حاجاتهم، وتلبيتها لهم، ومعرفة جوانب القوة أو القصور في حكم ولاتهم، ومعاقبتهم إن أخطئوا أو قصروا، لأنهم كانوا على يقين لأن ذلك يقربهم من الرعية أكثر، ويمنع وجود الفتن والمؤامرات، ومنعاً لاستعانة الرعية بأعداء دينها كما كان يحدث من بعض المسلمين في تلك الفترة، كما أنهم ساروا على نهج القرآن والسنة النبوية في ذلك فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "كلكم راع ومسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، ... فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته".(1)

فمن وصية أبو بكر لابن عمه يوسف عند تنازله له عن الخلافة أن يتق الله في المسلمين الذين ولاه عليهم، حتى يريحه ويريح نفسه أمام الله، وأن لا يضيع من أمور رعيته شيئاً، لأنه مسئول عنهم، وأن يعدل مع رعيته. (2)

وقد حرص يوسف على تفقد أحوال رعيته والسؤال عنها، ففي سنة (460هـ= 1067م)، وجه يوسف دعوة إلى أمراء المغرب، وأشياخ القبائل من البربر، فقدموا عليه، فبايعوه، ثم خرج معهم فطاف على بلاد المغرب، لتفقد أحوال الرعية، ونظر إلى سير ولاتهم وعملهم، فأصلح جميع ما بين يديه من أمور الناس. (3)

ولم يكن تفقد يوسف لأحوال رعيته لمجرد سماع الرأي في ولاته، بل الإصرار على إصلاح الأخطاء التي وقف فيها ولاته بنفسه.

وفي سنة (480هـ= 1087م)، دخل يوسف بن تاشفين مراكش، ليطوف على بلاد المغرب، ويتفقد أحوال الرعية، وينظر في أمور المسلمين، ويسأل عن أعمال عماله وقضاته في البلاد. (4)

---

(1) البخاري: الجامع الصحيح المختصر، ج2 ص848.
(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص87.
(3) ابن أبي زرع: م. ن، ص91.
(4) ابن أبي زرع: م. ن، ص98.

وكان يسير في أعماله فيتفقد أحوال رعيته في كل سنة. (1)

فكان يوسف حريصاً على متابعة عماله وولاته باستمرار، خوفاً من التقصير في حقوق الرعية، متأثراً في ذلك بأخلاق من سبقه من الخلفاء الراشدين، الذين كانوا يحرصون على تفقد الرعية باستمرار، نلاحظ ذلك من تلك الروايات التي نقلت بسنوات مختلفة عن قيام يوسف بتفقد أحوال رعيته.

ولم يقتصر يوسف في تفقد رعيته على المدن، بل كان يتفقد رعيته على الحدود بينهم وبين الأعداء. (2)

ويبدو أن يوسف أراد من وراء ذلك تشجيع من يحمي الحدود، وأن يشعرهم أنهم تابعين لسلطة تلك الدولة، وأراد التعرف عن قرب على أمور الأعداء، حتى يسهل له قتالهم بعد ذلك.

وقد كان يوسف يراقب من يجمعون الأموال من الرعية، وكان هؤلاء يدفعون الأموال لأمير المسلمين، وأشهد الحاضرين على دفعه لأمير المسلمين، وكانوا يرسلوا إلى أمير المؤمنين يخبروه بما كسبوا من مال أثناء عملهم، رغبة في عدم إيذاء أهلهم وأولادهم. (3)

ويبرز هذا حرص يوسف على أموال الرعية، وعدم إهدارها على يد الولاة، لأن عدم الحرص على الأموال العامة يضع الحاكم في صدام مع شعبه، وربما خروجهم عليه في بعض الأحيان، وتكون الدولة مهيأة أكثر لوجود الثورات والفتن.

كان أمير المسلمين عليّ بن يوسف من حسن التصرف واليقظة، حيث أنه كان يراقب سير الأمور في الولايات المختلفة، حتى لا يستبد أمير بولايته، أو يسيء معاملة الرعية، فكان إذا ولى أحد الولاة، أرسل له رسالة ليرسم له طريق معاملة الرعايا. (4)

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص88؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص60.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص87.

(3) ابن زيري، عبد الله بن بلقين بن حبوس (ت483هـ= 1090م): التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري، تحقيق: ليفي برفنسال، دار المعارف، مصر، د. ت. ط، ص214.

(4) حسين، حمدي: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية،1417هـ= 1997م، ص264.

فكان الحرص من الأمير عليّ على تفقد أحوال بلاده، حتى لا يستطيع أمير أن ينفرد بولايته، وأن يسيء معاملة الرعية، فكان يرسل رسالة مع ولاته ليرسم لهم طريق الحكم الصحيح، دليلاً على مدى تمسكه بأخلاق الدين الإسلامي الذي يدعو إلى إخلاص القائد لرعيته، وفي المقابل طاعة الرعية للحاكم.

لما ولى عليّ بن يوسف الأمر بعد أبيه، وفي سنة (500هـ= 1106م) خرج لتفقد أحوال الأندلس، وسارع إليه قضاة الأندلس وفقهاؤها، ورؤساؤها، وزعماؤها، وأدباؤها، وشعراؤها فأعطاهم الأموال الكثيرة، ولبى لكل منهم حاجته. (1)

ويذكر عن عليّ بن يوسف أن جوازه الأول للأندلس سنة (500هـ= 1106م)، لما ولى الأمر بعد إلى أبيه، كان ليتفقد حال الأندلس، وليسد عيوبها، فاحتل بالجزيرة الخضراء، وبادر إليه قضاة الأندلس وفقهائها، ورؤسائها، وزعماؤها، وأدباؤها، وشعرائها فأجزل لهم العطاء، وقضى لكل ذا أرب أربه. (2)

وربما أراد عليّ بن يوسف أن يعطي انطباعاً لدى الرعية عن قوة الدولة المرابطية، وخاصة بعد وفاة والده، وأراد في بداية عهده أن يحسن العلاقة مع رعيته، حتى يثبت حكمه، وتثق رعيته بوجود حاكم يلبي حقوقها.

وقد حرص عليّ الرعية ويظهر ذلك من رسالة وجهها أمير المسلمين إلى أهل إشبيلية، من مراكش سنة (512هـ= 1118م) وفيها يذكر مدى الاختلاف والكره والحسد بين أعيان المسلمين، والقطيعة فيما بينهم، وطلب من علمائهم وفقهاؤهم أن يصلحوا فيما بينهم، ويبطلوا أسباب الاختلاف، ويحاولوا التقريب بين الآراء المختلفة على قدر استطاعتهم. (3)

ويبدو أنه حرص على وحدة المسلمين في مواجهة أعدائهم من الروم الذين كانوا يستغلون لحظات ضعف المسلمين للانقضاض على دولتهم، وحرص على وحدة المسلمين في الداخل حتى لا يتفكك المجتمع المسلم.

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص85.

(2) مجهول: م. ن، ص85.

(3) ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الأشبيلي (ت535هـ= 1134م): قلائد العقيان في محاسن الأعيان، القاهرة، 1283هـ= 1866م، ص110.

وقد حرص عليّ بن يوسف على تفقد أحوال الرعية باستمرار ففي سنة (513هـ= 1119م)، وصل الأمير علي إلى الأندلس، لإصلاح أحوالها، وضبط حدودها، فوصل إلى قرطبة, وأتته وفود أهل الأندلس للسلام عليه، فسألهم عن أحوالهم وأحوال بلادهم وحدودها فأخبروه بأحوالهم. (1)

وفي سنة (526هـ= 1131م)، أرسل عليّ بن يوسف رسالة إلى أخيه تاشفين يخبره بطريقة التعامل مع الرعية، حيث طلب منه رعايتهم، من أي سوء يتعرضون له، وأن يستعين بالله في ذلك، لأن على الله التوكل فقط.(2)

وكذلك عاقب عليّ بن يوسف ولاته الذين أخطئوا بعزلهم، فعندما بعث على بن يوسف وانور بن أبى بكر من رجال لمتونة لتولي جزيرة مورقة (3)، وبعث معه 500 فارس من معسكره، فأرادهم أن يبنوا مدينه أخرى بعيدة عن البحر، فامتنعوا، فقتل مقدمهم، فثاروا عليه وحبسوه، ومضوا إلى علي بن يوسف فأعاد لهم حقهم، وولى عليهم محمد بن على بن يحيى المسوقي المعروف بابن غانية. (4)

ومن هذه الرواية يتضح حرص حكام المرابطين على القصاص ممن يخطئ من الولاة، حتى ولو كانوا من لمتونة نفسها، وهذا ما يمثل قمة الإنصاف للرعية حتى لو كان على حساب ولاتها، وما يزيد ثقة الرعية بحاكمها.

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص106.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص87-88.

(3) ميورقة بالفتح ثم الضم وسكون الواو والراء يلتقي فيه ساكنان وقاف جزيرة في شرقي الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة بالنون. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص246.

(4) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص165.

المبحث السادس

شجاعة حكام المرابطين

إن الزهد والبعد عن الترف، وتربية المرابطين الصحراوية قد أسهمت في شكل كبير في تكوين الشجاعة في شخصيتهم، وهو ما أعطاهم القوة اللازمة للجهاد في سبيل الله، وإن كانت أعمارهم كبيرة كيوسف بن تاشفين الذي دخل الأندلس وهو في الثمانين من عمره تقريباً، واستطاعوا بفضلها تجاوز الكثير من الأخطار التي أحاطت بدولتهم في المغرب والأندلس، سواء ممن خرج عليهم من المسلمين، أو من الروم الذين أرادوا القضاء على دولة المسلمين، وذلك بفضل همتهم العالية وشجاعتهم في خوض الحروب، فق تحدثت المصادر التاريخية عن شجاعة أمرائهم، وقدرتهم على مواجه المواقف الصعبة، فقد وصف المرابطون بأنهم كانوا يختارون الموت على الهزيمة، ولا تذكر الروايات أنهم فروا من القتال أمام أعدائهم. (1)

وكانت لهم ضربات بالسيوف تقطع الفارس، وطعنات تخترق الكلى، فكان لهم رعب في قلوب أعدائهم. (2)

وهذا يدل على شجاعتهم، وإصرارهم على خوض حروبهم والنصر فيها، أو الموت في سبيل الله في هذه المعارك.

وقد وُصِف أُمراء المرابطين بالشجاعة وأولهم يوسف بن تاشفين الذي لما استخلفه أبو بكر بعده، وجده بطلاً شجاعاً، أرهب الله به الأعداء، ودافع عن حدود الدولة الإسلامية بكل ما أُوتِي من قوة. (3)

ومن شجاعة يوسف رده على ألفونسو عندما أرسل إليه خطاباً قبل موقعة الزلاقة، الجواب ما تراه لا ما تسمعه، وأردف ببيت المتنبي:

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص21-22.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص112.

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19 ص252؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص87؛ السملالي: الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام، ج10 ص299.

ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولا رسل إلا الخميس العرمرم. (1)

وقد أرسل يوسف بن تاشفين إلى ألفونسو قبل موقعة الزلاقة رسالة تدل على شجاعته ومنها" وقد بلغنا أنك دعوت إلى الاجتماع بك، وتمنيت أن تكون لك فتعبر البحر عليها إلينا، فقد اجتزناه إليك، وجمع الله بيننا وبينك، وسترى عاقبة دعائك". (2)

فهذه النصوص وغيرها تدل على شجاعة يوسف في مواجهة أعدائه، وعدم الخوف من لقائهم، بل والإصرار عليه، وعلى أن يوسف خرج من بيئة تربى فيها على الإقدام والشجاعة، وإحراز النصر في المعارك.

ولم يكن باقي أمراء المرابطين بأقل شجاعة في حروبهم مثل الأمير عليّ بن يوسف الذي كان شجاعاً مجاهداً. (3) وقد كان اختيار بعض الأمراء يتم على أساس شجاعتهم فقد اختير تاشفين لولاية العهد لشجاعته. (4) فقد كان بطلاً شجاعاً. (5)

وكما تربى أمراء المرابطين على الشجاعة احترموها عند جنودهم، فهذا الأمير تاشفين كان يفضل جنوده الشجعان على غيرهم، وينالون عنده الاهتمام الكبير. (6)

ومما يذكر عن شجاعة تاشفين ثباته في غزوة البكار (7) سنة 528هـ= 1133م، إلى أن طعن أحد العبيد قائد الروم، فاستطاع المسلمون هزيمة الروم، فرجع العدو إلى معسكره، ورجع الأمير تاشفين إلى معسكره، ولما استقر بقرطبة، هنأه الشعراء على الانتصار. (8)

وقد مدح أعدائهم في الحروب شجاعتهم، فيذكر أنه ولما وصل أمير المسلمين أبا اسحق بن تاشفين إلى عبد المؤمن أمير الموحدين، وأشفق عليه لصغر سنه، وأراد أن يعفو عنه

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص43.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص53.

(3) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20 ص124.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص120.

(5) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص448؛ مجهول: الحلل الموشية، ص121.

(6) مجهول: الحلل الموشية، ص121.

(7) بكار بالفتح وتشديد الكاف كأنه نسبة صانع البكر أو بائعها كعطار. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص 474.

(8) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص90-92؛ الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص241-242.

ويسجنه، فقال له بعض شيوخ الموحدين: أتحب أن تربى لنا ابن سبع، وهذا اعتراف بشجاعة أبيه في مواجهتهم من قبله. [1]

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص139.

الفصل الثاني: العدل عند حكام المرابطين

المبحث الأول: عـدل حكـام المرابطـين مع المسلمين

المبحث الثاني: عدل حكام المرابطين مع غير المسلمين

المبحث الثالث: عـدل حكـام المسـلمـين في القضاء

المبحث الأول

عدل حكام المرابطين مع المسلمين

العدل من الأسس التي يَعمر بها الكون، ويصلح الناس، لذا حث عليه الإسلام وجعله أساسًا للحكم بين الناس، قال تعالي "لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط"(1)

وقد نفى سبحانه الظلم عن نفسه، وحرمه على عباده، فقال تعالى: "وما ربك بظلام للعبيد"(2)، والإمام العادل هو الذي يتبع أمر الله وحكمه، فيضع كل شيء في موضعه من غير إفراط فيه، وكل ميل عن الشرع فهو ميلٌ عن العدل وإقرار للظلم الذي هو ظلمات يوم القيامة.

والقرآن يحث على العدل والإحسان، وينهى عن المنكر والبغي قال تعالى: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون"(3)

فالقرآن أمر الحكام بالحكم بين الناس بالعدل، وحث الرعية على طاعة أولي الأمر: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل". (4) وقال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر". (5)

والتزام العدل واجب حتى في الفتن والاقتتال بين المسلمين قال تعالى: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين". (6)

وواجب على المسلمين أن يلزموا العدل حتى مع الأعداء، فلا تكون عداوتهم وبغضهم سببًا في ظلمهم؛ لأن المسلمين هم حملة المنهج الرباني الذي أنزل على محمد –صلى الله عليه

---

(1) سورة الحديد: آية 25.

(2) سورة فصلت: آية 46.

(3) سورة النحل: آية 90.

(4) سورة النساء: آية 58.

(5) سورة النساء: آية 59.

(6) سورة الحجرات: آية 9.

وسلم-ليقيم العدل قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون". (1)

والعدالة التي نعنيها ليست فقط العدالة القانونية التي يعبر عنها بالمساواة، وإنما هي العدالة الشاملة التي تعم الحاكم والمحكوم على حد سواء، وتشمل العدالة الاجتماعية والاقتصادية وكفالة حقوق الأفراد وحريتهم ورعايتهم.

لقد حاول حكام المرابطين التزام منهج العدل مع الناس، تطبيقاً لأوامر الله عز وجل، وسنة نبيه، فدولتهم قامت على تحكيم الشرع، الذي جعل العدل أساس الملك، وحاولوا تطبيق العدالة ليس من حيث المساواة فقط بل الالتزام بإعطاء الناس كافة حقوقهم أيضاً، وسنعرض في هذه الصفحات القليلة إلى بعض مظاهر عدالة حكام المرابطين، كعدلهم في القضاء، وعدلهم مع الرعية.

فمن مظاهر العدل مع الرعية تطبيق حدود الله معهم فعندما بدأ عبد الله بن ياسين بقتال جدالة فقتل منهم خلق كثير، وأسلم الباقون، ثم بدأ بقتال قبائل لمتونة، حتى أذعنوا له وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة، وأخذوا يغزوهم قبيلة بعد قبيلة، فغزا قبيلة مسوفة فهزموا وبايعوه على ما بايعته قبائل لمتونة وجدالة، فلما رأت قبائل صنهاجة هذا بايعته على السمع والطاعة، فكان كل من يأتيه تائباً يعلمه، يضربه مائة سوط ثم يعلمه شريعة الإسلام، وأمرهم بالزكاة والصلاة وإخراج العشر وجعل لذلك بيت مال للإنفاق على الجيش وشراء السلاح. (2)

فمن هذا يتضح الحرص الشديد على تطبيق تعاليم الإسلام الصحيحة من الحرص على تطهير نفوس الناس وإقامة الحدود حتى لا يتعرضوا للعذاب، ثم التعامل معهم بالمساواة، وأن تخفف الضرائب الكثيرة التي فرضت قبلهم لأنها تثقل على الناس، والالتزام بما أمر الله به من زكاة وغيرها.

---

(1) سورة المائدة: آية 8.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص79-80.

فعندما خرج الأمير يحيى وأبو بكر بن عمر من أمراء المرابطين للحج، مروا بالقيروان[1], يريدون التبرك بأبي عمران الفاسي، حيث أخرج من فاس لنهيه الأغنياء عما ارتكبوه من الظلم وأخذ أموال الناس بغير الحق، ومساعدتهم لحكامهم من زناتة على ذلك، حيث مارسوا من الظلم ما لم يسمع بمثله، فطلب أبو عمران من يحيى قتال قبائل زناتة، وإقامة العدل فوعده الأمير يحيى بذلك. [2]

فهذا يدل على التزامهم العدل داخل قبيلتهم، وحتى مع الشعوب الأخرى التي تكون مضطهدة وبحاجة للمساعدة.

ويذكر مؤرخون عدة أنه لما سمع به عن عدل المرابطين اجتمع فقهاء سجلماسة[3] ودرعة[4] سنة (447هـ= 1055م)، وكتبوا إلى عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر وأشياخ المرابطين كتاباً يطلبون منهم الوصول إلى بلادهم ليطهروها مما هي في من المنكرات، وبطش الأمراء، و كان أمراؤهم يأخذون طعام الناس، وأموال التجار ظلماً، ومن لم يوافقهم على ذلك قتلوه، وذكروا للمرابطين ما يتعرض له العلماء والفقهاء وباقي المسلمين من الذل مع أميرهم، فلما وصل الكتاب إلى عبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأه عليهم وشاورهم في الأمر، فوافقوا على الجهاد، وخرج بهم سنة (447هـ= 1055م) في جيش كثيف من المرابطين، بعدما خاطبوا أمراء سجلماسة فلم يجيبوهم على ما طلبوا منهم، والتقى الجمعان فيما بين درعة

---

(1) القيروان لفظ معرب وهو بالفارسية كاروان، وهي مدينة عظيمة بإفريقية، وليس بالغرب مدينة أجل منها، إلى أن قدمت العرب إفريقية وأخربت البلاد فانتقل أهلها عنها، وهي مدينة مصرت في الإسلام في أيام معاوية رضي الله عنه. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص420.

(2) ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف (ت810هـ= 1407م): بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1391هـ= 1972م، ص27-28.

(3) سجلماسة بكسر أوله وثانيه وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة مدينة في جنوبي المغرب. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص192.

(4) درعة مدينة صغيرة بالمغرب من الجنوب الغربي، ودرعة أكثر تجارها اليهود، وأكثر ثمرتها القصب اليابس جدا ينسحق إذا دق. ياقوت: معجم البلدان، ج2 ص451.

وسجلماسة فكانت بينهما حرب فظيعة انتصر فيها المرابطون، وقتل أمير سجلماسة ودرعة وأكثر جيشه وفر الباقون. [1]

يتضح من ذلك الكتاب أن الناس سمعوا بعدل المرابطين، وكرهوا ما هم فيه من الظلم، فطلبوا منهم القدوم لإنقاذهم من الظلم الذي تعرضوا له، وأنَ حرص المرابطين على تطبيق العدل تجاوز حتى القبائل التي كانوا يعيشون فيها، إلى محاولة نشر العدالة بين جميع القبائل التي كانت تحيط بهم، حتى ولو أدى ذلك إلى الصدام بين المرابطين وغيرهم بالقوة أحياناً، وهذا يدل على حرص شديد على تطبيق العدالة.

وتحقيقاً لمبدأ رفع الظلم عن الناس، ففي سنة (464هـ= 1071م)، غزا يوسف بن تاشفين زناتة، وكانوا على غاية من الظلم والجور والتعدي والاستباحة للظلم والفسوق وقطع الطرق، وكان أشدهم في ذلك توالي اليجشفي وابنه مهدي، فحاربهم يوسف بن تاشفين حتى دخل قلعتهم. [2]

ومن مظاهر عدل يوسف بن تاشفين إبطاله للضرائب التي سببت الأذى للناس، فقد فرضت ضرائب عدة قبل مجيء المرابطين للأندلس ومنها، مغارم الإقطاع وهى الضرائب التي كان ملوك الطوائف يفرضونها على الناس، إرضاءً لشهواتهم وأطماعهم، مما أدى إلى حمق رعاياهم، وامتناعهم عن أدائها مع حاجة السلاطين إليها بعد ذلك[3]، ومنها القبالات شر أنواع الضرائب، وقد وصف ابن عبدون صاحب رسالة الحسبة المتقبل "هذا هو شر خلق الله، وهو بمنزلة الزنبور[4] الذي خلق للضرر، لا للنفع، فهو يجرى ويسعى لضرر المسلمين أبداً، ويفتح أبواب الضرر عليهم، ويغلق أبواب الخير والنفع عنهم: ملعون من الله ومن الناس أجمعين! فيجب للقاضي أن يستحلفه، ويحد له ما يصنع في تصرفه، ولا يتركه يتحكم في أموال الناس

---

(1) الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص12–13؛ مجهول: الحلل الموشية، ص22؛ بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص183؛ بن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص72.

(2) مجهول: مفاخر البربر، ص145.

(3) ابن زيري: التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري، ص109، محمود، حسن: قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت. ط، ص408.

(4) الزنبور طائر يلسع. ابن منظور: لسان العرب، ج4 ص330.

باختياره وعلى ما يرى أنه صواب لنفعه، ويغلظ له في القول والتوبيخ". [1]، والمعونة وهي ضرائب وقتية يفرضها العامل متى شاء [2]، وكانت المكوس تفرض على التجارة المارة من مدينة إلى مدينة ومن إقليم إلى إقليم. [3]

وقد التزم يوسف بن تاشفين بعدم الإكثار في فرض الضرائب التي أرهقت الناس فنجد أنه لم يفرض شيء لم يأمر به الله في الكتاب والسنة، غير الزكاة والعشر والجزية وأخماس الغنائم، وجبى من تلك الأموال على الوجه الشرعي ما لم يجبه أحد قبله. [4] ولم يفرض في دولته مكس أو معونة خراج لا في حاضرة ولا في بادية. [5].

فلما فتح المرابطون المغرب والأندلس، وأبطلوا هذه الضرائب الجائرة كان لعملهم وقع عظيم، إذ كان معنى ذلك تحرير الناس من هذه الأعباء المالية التي كانت تذلهم وتستنزف أموالهم، فظهر المرابطون بمظهر المنقذ للناس، وقد كانت هذه السياسة من أهم العوامل التي مهدت للسيطرة على البلاد التي فتحها المرابطون، فقد ظهر ملوك الطوائف بمظهر المتعسف في جمع الضرائب، فلما خلعهم المرابطون ونفوهم بارك الناس ذلك، وكان الفقهاء أول من أفتى بخلعهم. [6]

وقد عين يوسف بن تاشفين ابنه علي بن يوسف عندما كان في سن 18 سنة، للنظر في المظالم وشكاوى الرعية، فانتفع به الناس في جميع أمورهم، وكافة شئونهم. [7]

---

(1) ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي: رسالة في القضاء والحسبة، نشر ليفي بروفنسال، القاهرة، 1374هـ= 1955م، ص30.

(2) محمود: قيام دولة المرابطين، ص407–408.

(3) محمود: قيام دولة المرابطين، ص407–408. نقلاً عن:

AL_ Andaluse (vol. 111، Fase. 2، Madrid- Grandana، 1935، vol. v1 Fase. 1941.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص88؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص60.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص88، بن زيري: التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري، ص120.

(6) محمود: قيام دولة المرابطين، ص408–409. نقلاً عن:

AL_ Andaluse (vol. 111، Fase. 2، Madrid- Grandana، 1935، vol. v1 Fase. 1941.

(7) مجهول: الحلل الموشية، ص84.

وعندما أراد يوسف بن تاشفين تولية ابنه عليّ اشترط عليه العدل مع الرعية ففي كتاب تولية العهد الذي كتبه الوزير محمد بن القصيرة (1)، عهد إليه أن يتقي الله ما استطاع، ولا يحيد عن صفة العدل وحكم الكتاب والسنة، في أحد سواء عصا أو أطاع، وألا ينام على الحيف وأن يخشى في نومه، ولا يتساهل عن مقدم شكوى، وأن يستمع إلى كل ذي بلوى، وأن ينظم أقصى البلاد وأدناها، وأن يعدل بين القريب والبعيد. (2)

ويتضح أن أمراء المرابطين كانوا حريصين على تربية أبنائهم على التمسك بصفة العدل من بعدهم، حتى لا يظلموا رعيتهم.

وفي سنة (526هـ= 1131م)، أرسل عليّ بن يوسف رسالة إلى تاشفين بن يوسف طالبه فيها باعتماد العدل مع الرعية، لأنه واحد منهم، والله وحده قادر على مجازاة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته. (3)

وقد أرسل عليّ بن يوسف رسالة إلى واليه أبي محمد بن فاطمة يحضه فيه على إقامة العدل من مراكش سنة (510هـ= 1116م) ومنها أن يتخذ الحق إماماً له، وأن يطبق به الأحكام على القوي والضعيف ، وأن يستمع لدعوة المظلوم، وأن لا يسد في وجه المضطهد المقهور بابه، وأن يعدل مع الرعية، وأن يولي عليها من يرفق بها ويعدل فيها، وأن يبعد عنها كل من يعرضها للظلم أو يؤذيها، وأن يعاقب من يزيد عليها في أحكامه، أو ينقص أمراً من أمورها، أو يغير حكماً، أو يأخذ لنفسه القليل من المال حتى ولو كان درهماً ظلماً، فليعزله عن أعماله، وعاقبه في نفسه وماله، وإرغامه برد ما أخذه تعدياً على الناس إلى أهله، وأن يجعله عبرة لغيره، حتى لا يقدم أحد على مثل فعله إن شاء الله. (4)

فقد حرص حكام المرابطين على حث الولاة على العدل مع رعيتهم، وأن لا يظلموهم، وأن يساووا بين القوي والضعيف في الأحكام، وأن لا يثقلوا على الرعية في تطبيق الأحكام.

---

(1) محمد بن سليمان الكلاعي الكاتب، ويعرف بابن القصيرة، من أهل أشبيلية، وهو من أهم أهل البلاغة في عصره، والتفنن في أنواع العلم، تُوفى سنة (508هـ= 1114م) بمراكش. ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج3 ص830-831.

(2) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص519.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص87.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص63-64؛ بن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ص113.

وقد نفذ عليّ بن يوسف تلك الوصايا بشكل كبير، فكان يحرص على اختياره الجيد للولاة، ففي رسالة وجهها إلى أهل سبتة[1]، من مراكش سنة (512هـ= 1118م)، أخبرهم فيها عزل ابنه وتولية أبي زكريا يحيى بن أبي بكر، معدداً صفات اختياره له، وهى أن إنسان ذكي، بما سوف ينفذه ويقتدي به، وينفذه في قوله وعمله، وأن أمير المؤمنين سيسأل عن حاله، ويفحص عن أخباره، وسوف يمتحنه ويجربه، ويعتني بتدريبه، ودعا علي الله عز وجل أن يحقق ظنه فيه، ويوفقه إلى سداد القول والعمل، وإلى ما يرضيه، فإذا وصل أهل سبتة خطابه فعليهم أن يلتزموا السمع والطاعة والنصح جهد الاستطاعة، وأن يعظموه بحسب مكانه، وأن يمتثلوا في كل عمل من أعمالهم نهيه وأمره. [2]

وفي تلك الرسالة حث على طاعة الوالي إن سار بين الرعية بالعدل، مع الحرص من الحاكم على مراقبة أعمال الولاة، وإرشادهم إلى الصواب.

وقد حرص عليّ بن يوسف على الرعية، وذلك بمنع الخلاف بين حكامهم، لما قد يجره ذلك من ظلم لهم، ويظهر ذلك من رسالة وجهها أمير المسلمين إلى أهل إشبيلية، من مراكش سنة (512هـ= 1118م)، بخط أبي القاسم بن الجد[3]، وفيها يقول: " يخبرهم فيها أنه وصلت له أخبار تؤكد ما بين وجهائهم من أسباب التباعد والاختلاف، والحسد والكراهية، والإصرار على الكراهية، وعدم التواصل فيما بينهم، والهجر والجفاء، وطلب في رسالته من فقهائهم وصلحائهم الذين إما انحازوا لطرف على حساب آخر، أو رضوا بالصمت،أن يسعوا في إصلاح ذات البين سعي الصالحين، وأن يجتهدوا في إبطال أعمال المفسدين، وأن يبذلوا أقصى الجهود في التقريب بين الآراء المختلفة، ويجمعوا الأهواء المتفرقة. [4]

فالحاكم يجب أن يكون حريصاً على وحدة المجتمع الذي يحكمه، ومنع أسباب الفرقة والتفكك التي تسود بين المجتمعات، نتيجة الخلاف بين الحاكم والمحكوم.

ومما يدل على العدل مع الرعية سماع حكام المرابطين لشكاواهم، ففي سنة

---

(1) سبتة من الإسبات التزام اليهود بفريضة السبت المشهور بفتح أوله، أو بكسر أوله وهي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص182.

(2) ابن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ص112.

(3) سأذكر ترجمته فيما بعد.

(4) ابن خاقان: م. ن، ص110.

(515هـ= 1121م)، كان قدم عليّ أهل قرطبة[1] الأمير أبو يحيى بن رواد من لمتونة ، فحدث بينه وبين أهلها ما أوجب ثورتهم عليه ، وحدث بين أهلها وبين من كان فيها من المرابطين فتنة كبيرة ، ونهبوا دورهم وقصورهم ، فبلغ ذلك على بن يوسف بن تاشفين ، فجند الجنود ، وعبر إلى الأندلس في عسكر لم يجتمع مثله للمرابطين قبله ، فاحتل بخارج قرطبة ، فغلقوا أبوابهم ، وحصنوا مواضع من حارتهم ، واستعدوا لقتاله ، واستفتوا علمائهم فأفتوهم أنه متى عرض عليه الحق، وبين له السبب فيما جرى بين المرابطين وأهل قرطبة ، فإنهم لم يبدأوا فيه ، وإنما كان حماية للحرم ، والدماء ، والأموال ، فإن أصر على إتباع هواه، وجب قتاله، ولما طال حصاره لها ، خرج إليه وجوه قرطبة وأعيانها ، وذكروه بوصية أبيه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين : " أن يقبل من محسن أهل قرطبة ، ويتجاوز عن مسيئهم "، فوقع الاتفاق على أن يؤدوا لهم مالاً عوضاً عما نهب للمرابطين ، فرضي عنهم ورضوا عنه. [2] .

وقد حرص عليّ بن يوسف على معاقبة المخطئ حتى ولو كان ابنه فقد ذكر ابن عذارى أن أبي حفص عمر يناله الذي تولى غرناطة [3] سنة (522هـ= 1128م) مدة أربعة أشهر فقط وعزل عنها وهو أحد أبناء أمير المسلمين عليّ بن يوسف، الذي كان في إقليم شرق الأندلس، وكان استدعى فقهاء وعلماء من أهل جيان [4]، فلما حضروا أمر بحبسهم ظلماً واعتداءاً، ثم ذهب للغزو في الشرق، فلم يزل في الشرق وهم في السجن إلى أن عزل، ففرج الله بعزل ينالة عن المسلمين الضيق بالأندلس. [5]

وكذلك عاقب عليّ بن يوسف ولاته الذين أخطأوا بعزلهم، فقد كان عليّ بن يوسف بن تاشفين لما سيطر العدو على جزيرة ميورقة، وهلك واليها مبشر، وبقي أهلها فوضى، وكان مبشر بعث إليه يستغيثه والعدو محاصر له، فلما أخذها العدو، بعث علي بن يوسف والياً عليها

---

(1) قرطبة بضم أوله وسكون ثانيه وضم الطاء المهملة أيضا والباء الموحدة كلمة فيما أحسب عجمية رومية ولها في العربية مجال يجوز أن يكون من القرطبة وهو العدو الشديد. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص324.

(2) مجهول: الحلل الموشية ص86-87.

(3) غرناطة بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون وبعد الألف طاء، ومعنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس سمي البلد لحسنه بذلك، وهي أقدم مدن كورة ألبيرة من أعمال الأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص195.

(4) جيان بالفتح ثم التشديد وآخره نون مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة مائلة عن البيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة، وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة. ياقوت: معجم البلدان، ج2 ص195.

(5) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص75.

وانور بن أبى بكر من رجال لمتونة، وبعث معه 500 فارس من معسكره، فأرادهم أن يبنوا مدينه أخرى بعيدة من البحر، فامتنعوا، فثاروا عليه وحبسوه، ومضوا إلى علي بن يوسف فأنصفهم منه، وولى عليهم محمد بن على بن يحيى المسوقى المعروف بابن غانية. (1)

لقد حرص حكام المرابطين على العدل ليس بإعطاء الناس حقوقهم فقط، بل الاستماع إلى شكواهم ممن ظلمهم أيضاً، حتى يستطيعوا رد المظالم عنهم، وهذا يعتبر قمة العدالة التي اتبعها الحكام في تلك الفترة من عمر الدولة المرابطية. فقد قال البخاري: "عن عدي بن حاتم (2) بينما أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل فقال "يا عدي هل رأيت الحيرة". قلت لم أرها وقد أنبئت عليها قال "فإن طالت بك الحياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله". (3)

فقد حرص المرابطون على تأمين الطرق للرعية فالمرابطون قد أمنوا طرق الرعية حتى لا يلحقهم قطاع الطريق وهذا من مظاهر عدلهم فقد وصفوا بأنه: "لم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع، ولا من يقوم عليهم، وأحبهم الناس ". (4)

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص165.

2) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي، أسلم 9هـ، وكان نصرانياً قبل ذلك، وثبت على إسلامه في الردة، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة، وشهد صفين مع عليّ ومات بعد الستين. العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج4 ص 469-470.

(3) البخاري: الجامع الصحيح المختصر، ج3 ص1316.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص108.

المبحث الثاني

عدل حكام المرابطين مع غير المسلمين

وكذلك حرص حكام المرابطين على العدل مع غير المسلمين ومنهم النصارى فقد استخدموهم في شئون الدولة، ففي سنة (464هـ= 1071م)، عندما قوي أمر يوسف بن تاشفين، اشترى جملة من العبيد، وبعث إلى الأندلس فاشترى منها العلوج [1]، وقد بلغ عددهم مائتين وخمسين أو مائتين وأربعين، وله من العبيد نحو ألفي عبد. [2]

وكان عليّ بن يوسف قد استعمل الروم في المغرب، وجعلهم يأخذون حقوقهم كما يأخذها المسلمون. [3]

وفي عهد تاشفين استخدم الروم أيضاً ففي سنة (534هـ= 1139م)، خرج تاشفين بعسكر من لمتونة والحشم لقتال الموحدين، ومعه جمع من النصارى بقيادة الربرتير قائد لبني تاشفين من كبار قوادهم وأبطال رجالهم، فبقي يحاربهم نحو شهرين، ثم رجع إلى مراكش، وانتهت الحرب عن قتلى بين الفريقين. [4]

ويؤكد ابن عذارى أنه في سنة (539هـ= 1144م)، خرج قائد الروم الربرتير بعسكره، ومعه عسكر لمتونة والحشم، فهزم الموحدون، وقتل القائد المذكور وتبدد عسكره. [5] وقد كان في جيش إبراهيم بن تاشفين الذي تولى الحكم سنة (538هـ= 1143م) نحو أربعة آلاف فارس من الروم. [6]

ولا عجب فقد حمل اسم عليّ بن يوسف ثوب القداس الذي كان يرتديه القديس خوان

---

(1) العلج الرجل من كفار العجم. ابن منظور: لسان العرب، ج2 ص326.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص299-300؛ بن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص23.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص102.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص98؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2، ص193.

(5) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص103.

(6) مجهول: الحلل الموشية، ص131.

دي أورتيغا الذي ما يزال محفوظًا بكنيسة كينتانا أورتسونيو في مدينة برغش [1]، وهذا يدل بلا شك على العدل في معاملة أهل الذمة. [2]

وقد سمح عليَ بن يوسف لأهل الذمة، بممارسة شعائرهم الدينية كاملة، فأنكر المهدي ابن تومرت على علي بن يوسف عندما ظهر في مراكش، بيع الخمر جهاراً، ومشي الخنازير التي للفرنجة بين المسلمين، وغير ذلك مما عده من الذنوب. [3]

كما خصص لهم حيّ خاص في مكناسة [4] عرف بدرب الفتيان، وحي آخر في أسبانيا حمل اسماً أسبانياً وهو درب فيرو. [5]

وكذلك فإن الدولة المرابطية خصصت لهم مقابر خاصة، تمشياً مع عاداتهم وتقاليدهم في دفن موتاهم، وقد عرفت إحدى هذه المقابر في مكناسة بمقبرة الذميين. [6]

وقد أسند عليّ بن يوسف إلى اليهود بعض المناصب المهمة في الدولة، فكان أطباؤه

---

(1) برغش في بلاد الروم بالقرب من مدينة ليون، وهي مدينة كبيرة يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور، والأغلب على الجزء الواحد منها اليهود، وهي حصينة منيعة، ذات أسواقٍ وتجارٍ، وعددٍ وأموال، وهي رصيف للقاصد والمتحول، وهي كثيرة الكروم. الحميري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت866هـ= 1461م): صفة جزيرة الأندلس، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1408هـ= 1987م، ص44.

(2) بلغيث، محمد الأمين: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي (الثقافة الإسلامية وروح التسامح اليهود والمستعربون بالأندلس في عصر المرابطين والموحدين نموذجًا)، دار التنوير، الجزائر، 1427هـ= 2006م، ص17. نقلاً عن: بالباس، توريس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة: السيد عبد العزيز سالم، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1395هـ= 1976م، ص62. بشير، عبد الرحمن: اليهود في المغرب العربي، ص53.

(3) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ= 1374م): العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، عدد الأجزاء4، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت. ط، ج2 ص422.

(4) مكناسة بكسر أوله وسكون ثانيه ونون وبعد الألف سين مهملة، مدينة بالمغرب في بلاد البربر. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص181.

(5) الطرطوشي: سراج الملوك، ص70، المنوني: التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور، مجلة الثقافة المغربية، 1391هـ= 1972م، ص23-24.

(6) بوتشيش، إبراهيم: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1417هـ= 1997، ص75.

الخاصون من اليهود كأبي أيوب سلمان بن المعلم وأبو الحسن ابن عبد الرحمن بن ميار اللذين لقبا بلقب الوزراء، وهذا يدل على مدى نفوذهم داخل جهاز الدولة، كما قلد بعضهم إدارة البلاط والتشريفات الرسمية، وأرسل بعضهم في سفارات خاصة إلى الأمراء النصارى. (1)

ومنهم الشاعر أبو يعقوب سليمان بن المعلم الذي حمل صفة الأمير والوزير، والثاني أبو الحسن أبراهام بن مير بن كامنيال، الذي كانت حمايته لأهل دينه من الظروف الطارئة تمتد لكل اليهود من مصر إلى بلاد العراق، ومنهم الوزير سليمان بن فاروسال الذي اغتيل سنة (502هـ= 1108م) في مهمة دبلوماسية إلى الممالك الأسبانية بعد معركة أُقليش (2) الشهيرة التي أحرز فيها المرابطون نصرًا على جيوش قشتالة (3). (4)

ويذكر بن عذارى أنه في سنة (522هـ= 1128م)، ولى أمير المسلمين عليّ بن يوسف ولده أبي حفص عمر يناله مدينة غرناطة، وكان معه رجل يعرف بموسى بن مفروح، فأراد أن يستبد بالأمر، فاستعان عمر بطبيب يهودي لقتله. (5)

فقد كان اليهود يحرصون على السلطة وإذا وجدوا من ينافسهم في ذلك عملوا على التخلص منه بطريقة سيئة، وهذا ما رأيناه عندما قوى نفوذ موسى بن مفروح الملثم في فعمد أحد

---

(1) بوتشيش: م. ن، ص 108. نقلاً عن

Slous: op. cit.، p. 55. Grcatz.

(2) أقليش بضم الهمزة وسكون القاف وكسر اللام وياء ساكنة وشين معجمة مدينة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص237.

(3) قشتالة إقليم عظيم بالأندلس قصبته اليوم طليطلة. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص352.

(4) بلغيث: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي (الثقافة الإسلامية وروح التسامح اليهود والمستعربون بالأندلس في عصر المرابطين والموحدين نموذجًا)، ص12.

- *H.Graetz، Les Juifs d'Espagne (945-1205) Traduit de l'allemand par Georges Stenne، Paris، Levy fréres éditeurs، 1872.P :191-192.*

سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، بيروت، دار النهضة العربية، 1405هـ/1985م.ص:177. الدمنهوري الشيخ أحمد عبد الرحمن (1151هـ/ت1739م)، إقامة الحجة الباهرة على هدم كنائس مصر والقاهرة، عنى بنشره موسى برلمان، الولايات المتحدة الأمريكية، مطبوعات جامعة كاليفورنيا، 1975م.ص :25.

(5) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص76-77.

أطباء اليهود إلى دس السم له فقتله.

وعندما أساء أبي حفص عمر يناله السيرة مع معاهدة غرناطة، منتقمًا منهم، مما فعلوه بالمسلمين لما تحالفوا مع رذمير، وقد تجاوز سلطاته يقول ابن عذاري " فلما وصل إلى حضرة أمير المسلمين عليّ بن يوسف أشار بذكره إليه معاهدة غرناطة، فأمر بمحضره معهم في مجلس نظره، فأدلوا بحجج في ظلمه فسجنه لهم حتى أنصفهم من ظلامتهم ثم بعد ذلك أصابه طاعون كان سبب حتفه، وكان هذا يناله عمر إذا عاقب الجاني اعتدى عليه، وإذا أُتي بالبريء لم يسمع منه، وكان له كاتب يهودي الأعراق والأخلاق يبغض الناس ويبغضونه أشأم قسمة على نفسه ورئيسه ومن اتصل به، فبدأ بشؤمه أميره يناله، فجرّ إليه العزل وأورده السجن وأداه إلى الهلكة، وغدا شؤمه عليه فاستؤصل ماله، ونهبت داره وطلب ليوقع به ففر وهلك بعد ذلك، وكان أشقر أزرق ذميم الخلق في وجهه خال".(1)

وقد استخدمهم عليّ بن يوسف في جباية الضرائب، ففي زكرم (2) قال أبو حفص العروضي الزكرمي، وقد طولب بمال يتولاه يهودي:

كنا نطالب لليهود بجزية	وأرى اليهود بجزية طلبونا
وقد رجونا أن ننال بعدلكم	رفداً يكون على الزمان معيناً. (3)

كما أن صمويل الفاسي حبر مراكش الذي اعتنق المسيحية أيام المرابطين، وسمي صومويل ماروشيتانيوس قد شغل منصبا ذا شأن في بيعة سجلماسة(4) وغيرهم من مفكرين وشعراء ووجهاء، ولم يؤسس يهود الأندلس مدارسهم المستقلة إلا بعد تعريبهم، وبعد أن أخذت نخبهم تتشرب الحضارة العربية الإسلامية، وبالتالي كانت التقاليد الفكرية داخل حلقاتهم العلمية تسمح لهم بالانفتاح الكامل على هذه الحضارة، حيث أمكنهم الإبداع من داخلها، فأنتجوا أهم

---

(1) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: م. ن، ج4 ص77.

(2) زكرم: إما قرية بإفريقية أو الأندلس، وإما قبيلة من البربر. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص145.

(3) ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص145-146.

(4) بلغيث: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي (الثقافة الإسلامية وروح التسامح اليهود والمستعربون بالأندلس في عصر المرابطين والموحدين نموذجًا)، ص10. نقلاً عن:

بن عبد الله، عبد العزيز: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة الصحراء، الرباط، 1395هـ=1976م. ص:121. نقلا عن الجنحاني، الحبيب: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في سجلماسة عاصمة بني مدرار، ص 153-154.

أدبياتهم الفكرية والأدبية التي تحتل مكان الصدارة حتى العصر الحديث، كما أشار المنصفون من الدارسين اليهود مثل حاييم الزعفراني وسلمون جويتاين[1] وتدهور وضعهم بتدهور العالم الإسلامي. [2]

وقد اشتغل جماعة من اليهود بالطب يدل على ذلك أن الفقهاء أفتوا بعدم مداواة الأطباء اليهود للنساء المسلمات. [3] فممن اشتغل بالطب أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي من ساكني مدينة سرقسطة [4]، الذي اعتنى بالعديد من العلوم، وكان له رأي في علم الطب، وتوفى سنة (458هـ= 1065م). [5]

ومما يدل على العدل مع أهل الذمة انتشار بعض المذاهب الدينية فقد انتشر بسبب

---

(1) بلغيث، محمد الأمين: نفسه، ص10. نقلاً عن:

David Gonzalo Maeso،Los Arabes Maestros de los Judios en la espana medieval Ensayos sobre la filosofia en al- Andalus Una Aproximacion Ensayos Sobre la FilosColeccion Dirigida ،os Y Temas FilosofiaAutores Text ،Andalus-ofia en Al Printed in Spain ، Anthropos Edotoral del hombre ،Por Jaume Mascaro n° 29 Zafarani.177-PP:166 .1990 Haim Pédagogie juive en terre d'Islam، l'enseignement traditionnel de l'Hebreu et du judaisme au Maroc Paris، librairie d'Amérique et d'Orient Adrien Maisonneuve، 1969.P:24. Goitein،S.D، Mediterranean society.III; P: 439.

(2) بلغيث: دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي (الثقافة الإسلامية وروح التسامح اليهود والمستعربون بالأندلس في عصر المرابطين والموحدين نموذجًا)، ص10. نقلاً عن:

عبد الوهاب محمد المسيري، موسوعة اليهود واليهودية (نموذج تفسيري جديد)، مج 4، بيروت، دار الشروق، 1419هـ= 1999م، ص 247. كونستبل، أوليفيا ريمي: التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة: فيصل عبد الله الرياض، مكتبة العبيكان، 1423هـ= 2002م. ص 155.

(3) ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي المراكشي (ت703هـ= 1304م): الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، عدد الأجزاء8، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1404هـ= 1984م، ج8 ص419.

(4) سرقسطة بفتح أوله وثانيه ثم قاف مضمومة وسين مهملة ساكنة وطاء مهملة، بلدة مشهورة بالأندلس تتصل أعمالها بأعمال تطيلة، ذات فواكه عذبة لها فضل على سائر فواكه الأندلس، مبنية على نهر كبير وهو نهر منبعث من جبال القلاع. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص212.

(5) ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت668هـ= 1270م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار الحياة بيروت، د. ت. ط، ص499.

حرية النشاط الديني بعض المذاهب اليهودية كمذهب القرائين الذي أدخله ابن الألطراس إلى الأندلس، وتابعت زوجته المهمة حتى تجذر في المغرب أيضاً، وانتشر في بعض النواحي كدرعة وفاس. (1)

وكذلك انتشار المراكز الدينية لليهود في المغرب كما تؤكد إحدى القصائد التي نظمها أبراهام بن عزرا، خاصة في عهد على بن يوسف، لذلك اعتبر أحد حماة اليهود. (2)

لقد أمر الإسلام بالإحسان في معاملة الرعايا غير المسلمين، وتاريخ المسلمين مليء بالنماذج الحية في تطبيق هذا النهج، فلا يجوز في الإسلام ظلم أحد من غير المسلمين، أو الاعتداء عليه في نفسه أو ماله أو عرضه بغير وجه حق، وقد حرص حكام المرابطين على تطبيق هذا النهج مع رعاياهم غير المسلمين، بالسماح لهمم بممارسة شعائرهم الدينية، والحصول على حقوقهم مثل المسلمين، من حيث الحصول على العمل وغيره، حتى ولو أدى ذلك إلى الثورة من بعض المسلمين عليهم أحياناً، تطبيقاً لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: " من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين يوماً. ".(3)

ولكن كان يحدث أحياناً تأديب لبعض الرعايا غير المسلمين عندما يخطئوا كما يحدث مع المسلمين تماماً، فعندما استدعى النصارى من غرناطة وغيرها سنة (519هـ= 1125م)، ابن رذمير من قواد ألفونسو، وتوالت عليه كتبهم، ورسلهم، تطمعه بدخول غرناطة، عندها خرج ابن رذمير إلى بلاد المسلمين في الأندلس، فلما أبطأ عليهم وجهوا إليه كتاباً يشتمل على 12 ألفاً من أسماء مقاتليهم، يعرفونه بمواضع الضعف في المدينة ويطلبون منه سرعة القدوم. (4)

فلما ظهر للمسلمين غدر النصارى المعاهدين، لحق القاضي أبو الوليد بن رشد بالأمير على بن يوسف في مراكش، فبين له الأمر بالأندلس، واستدعاء النصارى للروم، وما في ذلك من نقض للعهد، فأفتى بإخراجهم إلى العدوة، فأخذ بقوله، وبعث عدداً كبيراً منهم إلى العدوة، وأفتى بوضع السور على مراكش. (5)

---

(1) بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ص 105. نقلاً عن: Ibid، p. 56- 57.

(2) بوتشيش: نفسه، ص 105. نقلاً عن:
Ibid، p. 124.

(3) البخاري: الجامع الصحيح المختصر، ج3 ص1155.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص91.

(5) مجهول: م. ن، ص97.

المبحث الثالث

عدل حكام المسلمين في القضاء

حرص حكام المرابطين على استخدام القضاة للعدل بين الناس، وحل الخلافات بينهم، لما لهذا الأمر من أهمية على المجتمع، فيقول ابن خلدون عن منصب القضاء: "وأما أحكام هذا المنصب وشروطه فمعروفة في كتب الفقه، وخصوصاً كتب الأحكام السلطانية. إلا أن القاضي إنما كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط، ثم دفع لهم بعد ذلك أمور أخرى على التدريج بحسب اشتغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكبرى. واستقر منصب القضاء آخر الأمر على أنه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين بالنظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السفه، وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الأيامى عند فقد الأولياء على رأي من رآه، والنظر في مصالح الطرقات والأبنية وتصفح الشهود والأمناء والنواب، واستيفاء العلم والخبرة فيهم، بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من متعلقات وظيفته وتوابع ولايته".[1] وكان من عمل القاضي الإشراف على بيت المال وموارده، واختيار القائمين عليه، وأوجه إنفاقه. [2]

وفي رسالة موجهة من أمير المسلمين على بن يوسف إلى قاضي مالقة [3] سنة (523هـ= 1128م)، يذكر فيها القضاء بأنه لرفع المشاكل، وتمييز الحقائق، والفصل بعد الشكوى من الدعاوى والمنازعات، ويطلب أن تنظر شكاوى العامة، وأن يجري التعرف إلى شئون الرعية، وأن تعامل بالحق في كل ما ترفعه من أحوالها، وأن ينظر في تظلمها من عمالها، وأنه يجب أن يتوفر في القضاة الثقة والديانة والصدق والأمانة، فإذا وقع من أحدهم ظلم أو تعد، كان للحاكم حق عزله، فإن توانى رفع أمره للأمير مباشرة. [4]

وقد كان الأمير مسئولاً عن تعيين القضاة فهذا كتاب أرسله أمير المسلمين إلى القاضي موسى ابن حماد يقلده قضاء غرناطة سنة (524هـ= 1129م) يقول فيه: "فإنا قلدناك القضاء

---

(1) مقدمة تاريخ ابن خلدون، ص155.

(2) ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة، ص10-11.

(3) مالقة بفتح اللام والقاف كلمة عجمية، مدينة بالأندلس، سورها على شاطىء البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص43.

(4) مكي: وثائق تاريخية جديدة عن المرابطين، ص171؛ عنان، محمد: دولة الإسلام في الأندلس، عدد الأجزاء4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1417هـ= 1997م، ج3 ص431.

بين أهل غرناطة، للثقة المكينة بإيمانك، والمعرفة بمكانك، فأنت مطالب بإقامة الحق، ومراقبة الولاة في أعمالهم، والسؤال عن أحوالهم؛ فمن ساء فيما تولاه نظره ورأيه، أعلنت أنه سيء في الناس. (1)

وكان تعيين القاضي يتم عن طريق ترشيح أهل البلاد، أي بناء على رغبة أهل البلد، وكانت السلطة القضائية تتمتع بنوع من الاستقلال عن السلطة التنفيذية. (2)

كان القاضي يُعزل بأمر أمير المسلمين، ففي رسالة وجهها الأمير عليّ إلى أهل فاس سنة (528هـ= 1133م) يخبرهم فيها بعزل قاضيهم ابن الملجوم ويبرر ذلك لهم بقوله أنه تحقق لدينا أن ابن الملجوم جاهل بأحكام القضاء، وأنه أظهر أحكاماً سيئة، فقد قررنا عزله من منصبه. (3)

وكان بعض القضاة يتخذون كتَاباً، ومنهم القاضي أبي الأصبغ بن سهل الذي كتب له طول مدة قضائه بالأندلس والعدوة إبراهيم بن جعفر اللواتي. (4) ومنهم القاضي أبي الحسن بن أضحى، الذي كتب له محمد بن علي بن عياش من أهل قرطبة. (5) ومنهم القاضي أبي الحسن بن عبد العزيز قاضي بلنسية، الذي كتب له محمد بن اسماعيل بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن أمية بن مطرف بن خميس الجمحي. (6)

وفي رسالة من الأمير على إلى الفقيه قاضي الجماعة بقرطبة أبي عبد الله بن حمدين طلب منه المساواة بين الناس في العدل والمجلس، حتى لا يطمع قوي في حيفه، ولا ييأس ضعيف من عدله، ولا يكن عنده أقوى من الضعيف حتى تأخذ الحق له، ولا أضعف من القوي حتى يأخذ الحق منه، وأمر جماعة المرابطين أن يطيعوه، ولا يعترضوا عليه في القضاء، وطلب منه المساواة بين العمال والرعية، فإن شكت الرعية إليه بعامل وصح ظلمه لها، فاعزله، وإن

---

(1) النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي (رجحت وفاته قبل القرن الثامن): المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1403هـ= 1982م، ص97-98.

(2) مكي: وثائق تاريخية جديدة عن المرابطين، ص140.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص92.

(4) ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج1 ص168.

(5) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص8-9.

(6) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص4.

شكا العامل من رعية خلافاً في الواجب فقومها له، ومن استحق من كلا الفريقين الضرب والسجن فاضربه واسجنه، وإن استوجب دفع الغرامة فليدفعها أيهما، واسترجع الحق. (1)

ومنهم القاضي محمد بن أحمد بن رشد قاضي الجماعة بقرطبة، ولد سنة (450هـ= 1058م)، وكان فقيهاً عالماً، حافظاً للفقه، يعرف الفتوى على مذهب مالك وأصحابه، بارعاً في علم الفرائض والأحوال، ومن كتبه كتاب المقدمات لأوائل كتاب المدونة، وكتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، واختصار المبسوطة، واختصار مشكل الآثار، إلى غير ذلك، ولى القضاء بقرطبة، ثم أعفى منه، وكان قد توجه إلى المغرب إثر المعركة بين المسلمين والروم، ، وذلك سنة (520هـ= 1126م)، فتوجه إلى المغرب، وأقام عند الأمير على بن يوسف بن تاشفين، إلى أن عاد إلى قرطبة، مات فيها في السنة نفسها.(2) ومحمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي قاضي الجماعة الشهيد أبو عبد الله المعروف بابن الحاج، توفى سنة (529هـ= 1134م). (3)

وكانت رئاسة القضاء في المغرب، تسند إلى قاضي الجماعة بمراكش الذي كان يسمى قاضي قضاة المغرب، وكان يسمى بقاضي الحضرة، وكان هذا القاضي أقرب الفقهاء إلى قلب أمير المؤمنين، وأقربهم منه مجلساً، فقد كان عضواً بمجلس الشورى يستفتيه ولي الأمر في كل ما يعرض له. (4)

فمنهم عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم بن منصور اللخمي الذي سكن سبتة، وولي قضاء الجماعة بمراكش، توفى سنة (513هـ= 1119م). (5) ومنهم علي بن عبد الرحمن أبو الحسن المعروف بابن أبي جنون، قاضي الجماعة بمراكش، وله مختصر في أصول الفقه سماه بالمقتضب الأشفى من أصول المستصفى، توفي سنة (577هـ= 1181م). (6) ومنهم خلوف بن خلف الله من البربر، وولي قضاء غرناطة للملثمين سنة (510هـ= 1116م)، ثم ولي

---

(1) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج3 ص261-262.

(2) النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ت ص98-99.

(3) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي، ص118-119.

(4) محمود: قيام دولة المرابطين، ص367.

(5) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي، ص214.

(6) ابن الأبار: م. ن، ص300.

قضاء مدينة فاس، وولي قضاء الجماعة بمراكش سنة (515هـ= 1121م). (1)

وكان القضاة أحياناً يعترضون على بعض ما يقوم به حكام المرابطين، ودل على عدل هؤلاء الحكام سماع نصحهم، ومما يدل على ذلك تلك الرسالة التي بعثها أبو عبد الله ابن الفراء إلى يوسف بن تاشفين، لما كتب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى أهل المرية يطلب منهم المعونة، جاوبه بكتابه المشهور الذي يقول فيه: "فما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة، وتأخري عن ذلك، وأن جميع القضاة والفقهاء بالعدوة والأندلس أفتوا بأن عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه– أخذها، فذكر له أن عمر صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ولا يشك في عدله، فليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ولا من لاُ يشك في عدله، فإن كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته في العدل فالله تعالى سائلهم عنه، وما اقتضاها عمر – رضي الله تعالى عنه– حتى دخل مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وحلف أن ليس عنده درهم واحد في بيت مال المسلمين ينفقه عليهم، فتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة أهل العلم، وتحلف أن ليس عندك درهم واحد، ولا في بيت مال المسلمين، وحينئذ تستوجب ذلك. (2)

ومن المرجح أن زعامة القضاء في العدوتين كانت أحياناً من نصيب قاضي مراكش أو سبتة أو طنجة، وأحياناً لقاضي الجماعة في قرطبة. (3)

كانت بلاد الأندلس مقسمة جغرافياً زمن المرابطين إلى 3 أقاليم رئيسة هي الشرق والوسط والمغرب، ولكل إقليم منها قاضي قضاة يشرف على القضاء في الإقليم التابع له. (4)

وقد ظهر هذا اللقب في رسالة وجهها أمير المسلمين عليّ بن يوسف إلى أحد عماله على الأندلس، يحثه فيها على حماية قاضي الشرق، وتحمل إنذاراً للمعترضين على قاضي القضاة بإيقاع أقصى العقوبات عليهم. (5)

وممن تولى هذا المنصب إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عصام من

---

(1) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص254.

(2) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3 ص387.

(3) محمود: قيام دولة المرابطين، ص368.

(4) محمود: م. ن، ص367؛ حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص288.

(5) مكي: وثائق تاريخية جديدة عن المرابطين، ص177-178.

مرسية، قاضي قضاة الشرق، ويعرف بابن منتتال، كان خارجاً عن زي القضاة وسمتهم، أقرب إلى الرؤساء منه إلى الفقهاء، توفي بمرسية [1]، وهو يتولى قضاءها سنة(516هـ= 1122م) [2] ومنهم محمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن عمر ابن أسود الغساني، من المرية، ولي قضاء شرق الأندلس للملثمين دهراً طويلاً، وتوفي بمراكش، في نكبته سنة (536هـ= 1141م). [3] وأحمد بن محمد بن زيادة الله الثقفي، من مرسية، قاضي قضاة الشرق يكنى أبا العباس ويعرف بابن الحلال، قتل سنة (554هـ= 1159م). [4]

أما بالنسبة لأهل الذمة في الأندلس، فقد كان رجال الدين من النصارى واليهود يتولون القضاء لهم، دون أن يتدخل فيهم قضاة المسلمين، وقد أجاز الفقهاء تقليد الذمي القضاء لأهل الذمة، وفي الأندلس خصص المسلمون لأهل الذمة قاضياً يعرف بقاضي النصارى أو قاض العجم. أما إذا كانت الخصومة بين ذمي ومسلم فإن قضاة المسلمين يتولون الفصل فيها، وقد أشار أشباخ إلى أن النصارى كانوا يتمتعون بحرية الشعائر، ويحتفظون بالقوانين القوطية، ولهم أساقفتهم وقضاتهم. [5]

ومن خطط القضاء عند المرابطين:

1- خطة الإشراف:

وتعد خطة الإشراف من خطط القضاء المعروفة في عهد الأمير على بن يوسف، وكانت تختص بالفصل في المنازعات بين الأشراف، ويبدو أن المقصود بهم قبيلة لمتونة وكبار رجال الأسرة الحاكمة والدولة. [6]

---

(1) مرسية بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وياء مفتوحة خفيفة وهاء وهو من الذي قبله مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وسماها تدمير بتدمر الشام. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص107.

(2) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي، ص55-56؛ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص123.

(3) ابن الأبار: م. ن، ص130-131؛ مؤنس: سبع وثائق تاريخية جديدة عن دولة المرابطين، ص75.

(4) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي، ص39؛ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص60.

(5) أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ص82.

(6) حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص289.

وقد ذكر الفتح بن خاقان اسم الوزير أبي بكر بن رحيم، في رسالة وجهها إليه لتهنئته على توليه خطة الإشراف بإشبيلية سنة (515هـ= 1121م)، ومما كتب فيها:

إذا ما شـرف الأشـراف	قوماً فإن بنـي رحيمٍ شرفوه
كفاه للملوك على سبيل	وديـن نصيحـة مـا حرَفوه
أبو بكر له ولـهم كفيل	بـكـل كـفـايـة إذ صــرفــوه
وما الإشراف إلا عبد قَن	لـهم فمتى تولى استصرفوه. [1]

2- خطة الشورى:

هي إحدى خطط القضاء في عهد علي بن يوسف، ويرجح أن يكون صاحبها فقيهاً يشاوره القاضي قبل أن يصدر الأحكام، وكان قاضي المدينة يتولى اختيار هؤلاء الفقهاء من أهل مدينته، ممن يعرفون بالورع والتبحر في الفقه والعلوم الدينية، ويحدد ابن عبدون هؤلاء الفقهاء بأربعة: اثنان يشتركان في مجلس القاضي، واثنان يجلسان في المسجد الجامع. [2]

3- النظر في المظالم:

كان النظر في المظالم في عصر علي بن يوسف من اختصاص ولي العهد فقد ذكر ابن عذارى أن الأمير سير ولي العهد" نظر في ما تدعوه الضرورة من أمور الجيش والأحكام والولايات والعزل ورد المظالم". [3]

كما نظر الأمير تاشفين ولى العهد في المظالم، فقد ذكر صاحب الإحاطة أنه: "واصل الجلوس للنظر في الظلامات، وقراءة الرقاع، ورد الجواب". [4]

---

(1) قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ص180.
(2) ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة، ص368.
(3) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص78.
(4) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص450.

ولكن يبدو أن هذه الخطة أضيفت إلى اختصاصات الوزير في آخر أيام علي بن يوسف، عندما ازدادت مشاكل الدولة في الداخل بسبب الصراع مع الموحدين، وفي الخارج بسبب الحروب مع النصارى في الأندلس. (1)

فيذكر ابن عذارى أن الأمير علي بن يوسف "استوزر في آخر أيامه اسحق بن ينتان بن عمر بن ينتان، وما بلغ عمره 18 عاماً، وكان يتوقد ذكاءًا وعقلاً وفهماً، فأعجب به إعجاباً كثيراً، وجعل إليه النظر في المظالم والشكاية. (2)

4- خطة صاحب الأحكام:

هي خطة قضائية صغيرة كان يتولاها فقيه من الناشئين في سلك القضاء في بلدة أو حي من أحيائها، بالنيابة عن أحد كبار القضاة، وبتفويض خاص منه، يبيح له أن يصدر أحكامه باسمه فيما يعترضه من قضايا، وقد يشابه هذا النوع قضاء الدرجة الثانية في العصر الحديث، كما وجد قضاء درجة ثالثة يتولاه فقيه يعرف بالمسدد، لا تتجاوز اختصاصاته القرية الصغيرة، ويفصل في المنازعات الصغيرة، ويتولى صاحب الأحكام بناء على عقد يعرف بالصك. (3)

---

(1) حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص290.

(2) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص101.

(3) مؤنس: سبع وثائق تاريخية جديدة عن دولة المرابطين، ص75-78.

الفصل الثالث: العلم عند حكام المرابطين

المبحث الأول: اهتمام حكام المرابطـين بالعلم والعلماء

المبحث الثاني: اهتمام حكام المرابطين بالعلوم الشرعية

المبحث الثالث: اهتمام حكام المرابطـين بالأدب واللغة

المبحث الرابع: اهتمام حكام المرابطين بالعلوم الأخرى

المبحث الأول

اهتمام حكام المرابطين بالعلم والعلماء

كانت الحقيقة الأولى أن الدين الإسلامي دينٌ يقوم على العلم، ويرفض الأوهام جملةً وتفصيلاً؛ حيث نزل الوحي أوَّل ما نزل بخمس آيات تتحدَّث حول قضية واحدة تقريبًا، وهي قضية العلم، قال تعالى: " اقرأ باسم ربك الذي خَلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم ". (1)

ولم تكن البداية فقط في القرآن هي التي تدعو العلم وتبين قيمته وأهميته، بل إنّ هذا منهجًا ثابتًا في هذا الدستور الخالد، فلا تكاد تخلو سورة من سوره من الحديث عن العلم، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وقد كان لذلك كله أثر بعيد المدى في الدولة الإسلاميَّة بعد ذلك، حيث ولَّد نشاطًا علميًّا واسعًا في مختلَف ميادين العلم والمعرفة، نشاطًا لم يعهد له التاريخ مثيلاً، ممَّا جعله يحقِّق ازدهارًا حضاريًّا عظيمًا على أيدي علماء المسلمين، ويمدُّ التراث الإنساني بذخيرة علميَّة رائعة، يظلّ العالم بأسره مدينًا لها، وكانت دولة المرابطين من تلك الدول التي حرصت على العلم، كلبنة في بناء الحضارة الإسلامية. فلم يكن المرابطون أقل براً بالأدب وأهله منهم بالعلم والعلماء. وليس أدل على ذلك من الرعاية التي أولاها أمراؤهم للأدباء، من كتاب وشعراء، منذ أن توطد ملكهم، وكانت عنايتهم بأدباء الأندلس فائقة الحد، حتى لم يبق أديب لم يحصل على عمل سواء في بلاط أمير المسلمين بمراكش أو في ديوان أحد الأمراء بالأقاليم. (2)

وقد قامت دولة المرابطين على أساس نشر مذهب مالك في بلاد صحراء المغرب (3)، ورغم أن تلك الدولة قامت على الجهاد، لم تغفل النواحي الاجتماعية والحضارية في هذه البلاد، فازدهرت الثقافية في الدولة. (4)

فقبائل الملثمين التي قامت على أكتافها دولة المرابطين، كانت قبائل بدوية، ولكنها كانت قبائل غير مخربة، فهي كانت تغير لنشر الدين وليس للسلب والنهب، وكان ذلك راجعاً

---

(1) سورة العلق، الآية 1-5.

(2) كنون، عبد الله: النبوغ المغربي، عدد الأجزاء3، د. ت. ط، ج1 ص78.

(3) محمود: قيام دولة المرابطين، ص107.

(4) دندش، عصمت: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1408هـ= 1988م، ص141.

لإمامهم عبد الله بن ياسين، فقد أثر فيهم عن طريق الحياة العقلية الرفيعة التي مارسوها في بداية حياتهم في رباط ابن ياسين، الذي فتح عقولهم للثقافة الإسلامية والتراث العربي، فبدأوا منذ اللحظة الأولى التي وطئت أقدامهم أرض المغرب، يقبلون على المدارس، وانكبوا على الثقافة والعلم يأخذون منه بنصيب وافر. (1)

وحرص أمراء المرابطين على صداقة أهل العلم وكانوا يرفعون مكانهم في مجالسهم، ويحتكموا بأمرهم، وكانوا يهتمون بمطالعة سير الأنبياء، وأخبار الأولياء، وقراءتها في دواوين ملكهم. (2)

فقد حرص المرابطون بحكم نشأة دولتهم الدينية على تعلم العلم الشرعي والعمل به، وكانوا يحبون العلماء ويكرموهم، أملاً برضى الله عنهم.

فقد وصف ابن خلدون المرابطين قائلاً:" نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم، والاستفتاء في فروض أعيانهم، وتدارس القرآن بين أحيائهم، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم". (3)

ومن هذا الوصف يتضح حرص المرابطين على اتخاذ حملة القرآن لتعليم أبنائهم، وأن يحكموهم في أمورهم، وأن يحرصوا على دراسة القرآن الكريم، وأن يستفتوا الفقهاء في القضايا التي تعترضهم، وهذه ثقة بالعلماء والفقهاء.

وعن حب المرابطين للعلم يذكر ابن خلدون أنهم اتخذوا معلمين لتعليم أبنائهم، واهتموا بالعلم وبناء المدارس. (4)

وقد وصف المراكشي يوسف بن تاشفين بقوله: "انقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم". (5)

ويبدو أن المرابطين تأثروا بما ساد العالم الإسلامي آنذاك من تشجيع للعلماء، وتقريبهم من بلاط الخلفاء والأمراء، كما حدث في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، التي ذكر المراكشي

---

(1) محمود: قيام دولة المرابطين، ص107.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص105.

(3) تاريخ ابن خلدون، ج6 ص104-105.

(4) تاريخ ابن خلدون، ج6 ص104.

(5) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص163.

اهتمام خلفاءها بالعلم والعلماء، رغم أن قبائل المرابطين في بدايتها اعتمدت على الجهاد بشكل كبير.

وقد ذكر ابن الأبار أن يوسف بن تاشفين مع نشأته في الصحراء إلا أنه كان لا يمضي أمراً إلا بمشورة الفقهاء. (1)

وحرص يوسف على أن يتعلم ويستفيد من العلماء فقد أخذ العلم عن العلماء أمثال أبي مروان عبد الملك بن ملحان (2) الذي نشأ على الفقه ورواية الحديث، والأدب، وقول الشعر. (3)

وكان يوسف مقرباً للعلماء، كثير المشورة لهم، وقد جذب ذلك العلماء لزيارته، فنوى الإمام أبا حامد الغزالي، لما سمع من ميله إلى أهل العلم التوجه إليه، وشرع في تجهيز ما يحتاج إليه لتلك الرحلة فوصله خبر وفاة يوسف، فرجع عن ذلك، وعاد إلى بلاده. (4)

ومال يوسف إلى أهل الدين والعلم ويحبهم، وكان يكرمهم، ويأخذ برأيهم، ويصر على رضاهم عنه، وينفذ فتواهم على نفسه، وكان يعطيهم مرتباتهم من بيت مال المسلمين (5)، فعندما حصل الصراع بين ابن رشيق صاحب مرسية وابن عباد أمير إشبيلية، شكا ابن عباد ابن رشيق لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وأنه دفع الجزية لألفونسو ملك الروم، فحضر ابن رشيق،

---

(1) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي، مطبعة روخس، مجريط، 1302هـ= 1885م، ص56.

(2) عبد الملك بن قتادة بن ملحان القيسي، يروى عن أبيه وله صحبة، يعد في أهل البصرة روى عنه أنس بن سيرين. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي: الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، عدد الأجزاء: 9، دار الفكر، ط1، 1395هـ= 19751975م، ج5، ص120.

(3) ابن سعيد المغربي، على بن موسى (ت685هـ= 1286م): المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، عدد الأجزاء 2، دار المعارف، القاهرة، 1374هـ= 1955م، ج2 ص77-78.

(4) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج7 ص124-125؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص124.

(5) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص99؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج34 ص339؛ مجهول: الحلل الموشية، ص82؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص60؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص88؛ ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي، ص55؛ أعمال الأعلام، ج3، ص231.

فطلب يوسف رأي الفقهاء، فتم الحكم على ابن رشيق، فأمر يوسف قائده أمير ابن أبي بكر بالقبض عليه وتسليمه لابن عباد. (1)

ولما تبين للأمير يوسف اختلاف ابن عباد معه وتركه للجهاد، شاور الفقهاء في أمره، فأشاروا عليه بغزوه، فما تأخر عن ذلك. (2)

فقد حرص يوسف على طاعة العلماء، لأن طاعتهم واجبة وخصوصاً فيما يخص الفتوى في أمور المسلمين، وتركهم ليتفرغوا لإصلاح شئون المسلمين.

وبلغ الفقهاء في عهد علي بن يوسف منزلة عظيمة فقد فضلهم، فكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذا ولى أحدا من قضاته كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمراً إلا بحضور أربعة من الفقهاء فبلغ الفقهاء في أيامه شأناً عظيماً لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس. (3)

وكان عليّ بن يوسف يعظم العلماء، ويشاورهم، اتبع الناس في زمانه الفقه والكتب والفروع، حتى تكاسلوا عن الحديث والآثار، (4) وكان عليّ يجالس الأعيان ويتبادل معهم العلم(5)، وكان يكرم الفقهاء والطلبة، وأعطى التصرف في أمور الدولة للفقهاء، وكان منقاداً للعلماء بشكل كامل، ويرضى بحكمهم في الأمور. (6)

وفي دولة عليّ بن يوسف راجت العلوم والآداب، وكثر النبهاء، وخصوصا الكتاب، وحكي أبو بكر ابن الصيرفي في تاريخه، أن علياً استجاز رواية أبا عبد الله أحمد بن محمد الخولاني، لعلو إسناده فأجاز له. (7)

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص142؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص99.

(2) ابن زيري: التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري، ص169.

(3) عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص171.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج20 ص124.

(5) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2 ص449.

(6) مجهول: الحلل الموشية، ص84-85؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص450؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج34 ص336؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص123.

(7) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي، ص56.

وكان الأمير عليّ بن يوسف يرسل أبناءه إلى الأندلس، لتلقى العلم، ويتشدد في تعليم أبنائه، ويظهر ذلك من رسالة وجهها إلى ابنه أبي بكر، الذي كان يعلمه الطبيب الأندلسي أبو مروان بن زهر [1]، ويفهم أن أبي بكر لم يكن مكباً على التحصيل العلمي، فنهره وعنفه، وهدده إن لم يهتم بالتعليم ليرسله إلى ميورقة. [2]

وكان بعض الأمراء لا تمكنهم ظروفهم من الالتحاق بالمدارس والوصول إلى مجالس العلم والعلماء، فكانوا يرسلون في طلب العلماء والفقهاء إلى قصورهم، فيجلسون إليهم، ويأخذون العلم عنهم، ويتفقهون في الدين على أيديهم، فكان الأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين يرسل في طلب الفقيه أبي على الصدفي [3] ليسمع عنه الحديث فقد ذكر أبو بكر بن أبي ليلى وكان كاتبه، قال كنت يوماً عند القاضي أبي علي الصدفي إذ جاء وزير ابن تاشفين فقال: إن الأمير أبا إسحق يريد أن يسمع عليك الحديث. [4]

واتصل به الفتح بن خاقان الكاتب المشهور، الذي عمل له كتاب قلائد العقيان في محاسن الأعيان وقد جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيرة، وتكلم على ترجمة كل واحد منهم

وكتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس، وهو ثلاث نسخ كبرى وصغرى ووسطى، وهو كتاب كثير الفائدة. [5]

وقد أقبل أمراء المرابطين، وعمالهم على الحياة الثقافية، ينهلون منها في تواضع، ومثال ذلك الأمير ميمون بن ياسين[6]، فقد ذكر أن ميمون بن ياسين عني بالرواية وسماع العلم، وكانت له رحلة حج فيها، وسمع بمكة من أبي عبد الله الطبري صحيح مسلم في سنة (497هـ= 1103م)، وسمع بها أيضا من أبي مكتوم بن أبي ذر الهروي صحيح البخاري،

---

(1) سأذكر ترجمته فيما بعد.
(2) دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، ص145.
(3) سأذكر ترجمته فيما بعد.
(4) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي، ص55.
(5) ابن الأبار: م. ن، ص300–301؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4 ص23.
(6) ميمون بن ياسين الصنهاجي اللمتوني سكن المرية وأصله من صحراء المغرب يكنى أبا عمر. بن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت659هـ= 1260م): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، عدد الأجزاء 4، دار الفكر للطباعة، لبنان، ط1، 1415هـ= 1995م، ج2 ص196–197.

وابتاعه منه بمال كبير، وهو الذي أوصله إلى المغرب، ثم رجع ميمون وحدث بالأندلس، فسمع منه الناس بإشبيلية وغيرها، وكان رجلاً صالحاً معتنياً بالآثار مقتنياً للأصول، وتوفي بإشبيلية سنة (530هـ= 1135م). (1)

ومن اهتمام المرابطين بالعلم قصة عامل دَكالة (2) المرابطي الذي التقى مع أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي، وكان حافظاً للفقه ذاكراً لمسائله عارفاً بأصوله، متقدماً في علم الكلام، كاتباً بليغاً شاعراً، ففي رحلته إلى مراكش عرفه أحد أغنياء لمتونة وكان اللمتوني حينئذ عامل دَكالة، فرغب منه أن يصاحبه، وضمن له أن يعطيه ألف دينار ذهباً. (3)

---

(1) ابن الأبار: م. ن، ج2 ص196-197.

(2) دكالة: بفتح أوله وتشديد ثانيه بلد بالمغرب يسكنه البربر. ياقوت: معجم البلدان، ج2 ص459.

(3) ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد (ت799هـ= 1396م): الديباج المذهب في أعيان المذهب، تحقيق: أبو النور محمد، عدد الأجزاء 2، دار التراث، القاهرة، د. ت. ط، ج1 ص211.

المبحث الثاني
اهتمام حكام المرابطين بالعلوم الشرعية

وقد نجم عن اهتمام أمراء المرابطين بالعلم والعلماء بروز الكثير من العلماء المؤثرين في الحركة العلمية المميزين بغزارة إنتاجهم، المبدعين في مختلف العلوم ومنها الفقه والحديث والأدب والشعر والنثر وغيرها.

العلوم الشرعية

أولاً: علوم الفقه والحديث

فقد حرص حكام المرابطين على الاهتمام بالعلوم الدينية، التي تساعدهم في حكمهم ومعاملتهم لرعيتهم، وتقربهم من الله، ولكنهم لم يهملوا الاهتمام بباقي العلوم الأخرى، فقد حرصوا على تكريم أصحابها، وتقريبهم منهم، حرصاً على إدارة أمور الدولة، وسوف نحرص على إبراز اهتمام أمراء المرابطين بالعلم الشرعي، ثم حرصهم على الاهتمام بباقي العلوم الأخرى. يقول المراكشي:"ولم يكن يقرب من أمير المسلمين على بن يوسف ويحظى عنده إلا من علم الفروع أعني فروع مذهب مالك فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب". [1]

وبرع فيها عدد من العلماء في زمنهم نذكر منهم:

1- القاضي محمد بن أحمد بن رشد قاضي الجماعة بقرطبة، وكان فقيهاً عالماً، حافظاً للفقه، يعرف الفتوى على مذهب مالك وأصحابه، بارعاً في علم الفرائض والأحوال، ومن كتبه كتاب المقدمات لأوائل كتاب المدونة، وكتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل، واختصار المبسوطة، واختصار مشكل الآثار، إلى غير ذلك، ولي القضاء بقرطبة، ثم أعفى منه، وكان قد توجه إلى المغرب سنة (520هـ= 1126م)، وأقام عند الأمير على بن يوسف بن تاشفين، إلى أن عاد إلى قرطبة، مات فيها في السنة نفسها، وكان وُلد سنة (450هـ= 1058م). [2]
2- القاضي أبو عليّ الصدفي وهو حسين بن محمد بن فيره بن حيون، من سرقسطة، سكن مرسية سنة (470هـ= 1077م)، وكان عالما بالحديث، عارفاً بأسماء رجاله، ومن

---

(1) عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص172.

(2) النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ص98-99.

ينقله، كتب بخطه علماً كثيراً، وكان حافظا لمصنفات الحديث، ذاكراً لمتونها وأسانيدها ورواتها، وكتب منها صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وكان عالماً عاملاً، تولى قضاء مرسية ثم أعفي منه، فأقبل على نشر العلم، فلما كانت وقعة كتندة كان ممن استشهد فيها سنة (514هـ= 1120م). (1)

3- عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، أندلسي الأصل، ولد في مدينة سبتة، كان إمام وقته في الحديث وعلومه، عالماً بالتفسير، رحل إلى الأندلس سنة (507هـ= 1113م) ، طالباً للعلم، وجمع من الحديث كثيراً وله عناية كبيرة به، واهتمام بجمعه وكتابته، وله كتب منها إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم، وكتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، وكتاب مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم، وضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيفات، وضبط أسماء الرجال، وكتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة، وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، وكتاب الإعلام بحدود قواعد الإسلام، وكتاب الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع، وكتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد، وكتاب الغنية في شيوخه، وكتاب المعجم في شيوخ بن سكرة، وكتاب نظم البرهان على حجة جزم الأذان، وكتاب مسألة الأهل المشروط بينهم التزاور، وكان لا يخطب إلا من إنشائه. (2) وُلد سنة 476هـ= 1083م، وتُوفي سنة (544هـ= 1149م) بمراكش بعيداً عن وطنه. (3)

4- عبد الله بن عليّ بن عبد الله اللخمي الرشاطي، الفقيه، له كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار، وهو كتاب غريب كثير الفوائد جامع، وُلد سنة (654هـ= 1256م)، وتُوفى سنة (542هـ= 1147م). (4)

---

(1) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2 ص90-92؛ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (578 هـ= 1182م): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، عدد الأجزاء 8، مكتبة الخانجي، ط2، 1374هـ = 1955م، ج1 ص235-237.

(2) ابن فرحون: الديباج المذهب في أعيان المذهب، ج2 ص46-48.

(3) النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، ص101.

(4) الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (599هـ= 1203م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، عدد الأجزاء 2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ= 1989م، ج2 ص452.

5- عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية، من غرناطة، كان واسع المعرفة، قوى الأدب، يتفنن في العلوم، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، ألف كتابه المسمى الوجيز في التفسير، تُوفي بمدينة لورقة سنة (542هـ= 1147م). (1)

6- يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن عمر بن فيرة اللخمي، من أندة (2)، يعرف بابن الدباغ، كان من أعرف الناس بطريقة الحديث، وأسماء الرجال، وأزمانهم، وثقاتهم، وضعفائهم، وأعمارهم وآثارهم، وُلد سنة (482هـ= 1089م)، وتُوفي سنة (546هـ= 1151م). (3)

7- أحمد بن خلف بن إبراهيم بن لب بن بطير التجيبي، وصف بأنه كان من جلة الفقهاء، وكبار العلماء، من المعدودين في المحدثين والأدباء، عالماً بالسير، ومات مقتولاً في مسجد قرطبة التي تولى قضاءها، وُلد سنة (458هـ= 1065م)، وتُوفي سنة (529هـ= 1134م). (4)

8- عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يربوع بن سليمان، من شنت مرية (5) الغرب، كان حافظاً للحديث، عارفاً بأسماء رجاله، ومن ينقله، ثقة فيما رواه، وجمع كتباً منها الإقليد في بيان الأسانيد، وتاج الحلية وسراج البغية في معرفة أسانيد الموطأ، ولسان البيان عما في كتاب أبي نصر الكلابذي من الإغفال والنقصان، والمنهاج في رجال مسلم بن الحجاج، وُلد سنة (444هـ= 1052م)، وتَوفي سنة (522هـ= 1128م). (6)

9- زاوي بن مناد بن عطية الله بن المنصور الصنهاجي، من دانية، وكان رجلاً صالحاً فاضلاً معنياً بالرواية، كتب بخطه علماً كثيراً، وجلس لإسماع الحديث، وفي آخر هذه السنة انقرضت دولة المرابطين بالأندلس. (7)

---

(1) ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج2 ص563-564.

(2) أندة بالضم ثم السكون مدينة من أعمال بلنسية بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص264.

(3) ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج3 ص978-979.

(4) ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج3 ص844-845.

(5) شنت مرية بفتح الميم وكسر الراء وتشديد الياء، وأظنه يراد به مريم بلغة الفرنج. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص367.

(6) ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج3 ص844-845.

(7) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص269.

10- أحمد بن محمد موسى بن عطاء الله الصنهاجي، من المرية، كانت له عناية بالقراءات، وجمع الروايات، واهتم بطرقها وحملتها. [1]

11- أبو الحسن بن زنباع الفقيه القاضي، يوصف بأنه: " حوى العلوم وحازها، وتحقق حقائق العرب ومجازها". [2]

12- محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري، من إشبيلية، ختام علماء الأندلس، وآخر حفاظها وأئمتها، وكان من أهل العلم، متفنناً فيه، بارعاً في جمع العلوم، حريصاً على نشرها، وُلد سنة (468هـ= 1075م)، وتُوفي سنة (543هـ= 1148م)، ودفن بمدينة فاس. [3]

13- عبد الملك المصمودي، ولي قضاء الجماعة بمراكش في أول الدولة المرابطية، ودخل الأندلس غازياً، واستشهد في معركة الزلاقة بمقربة بطليوس [4] سنة (479هـ= 1086م). [5]

14- منصور بن مسلم بن عبدون الزرهوني من أهل فاس، وكان حافظاً للمسائل، تفقه عليه جماعة من الناس، وُلد سنة (472هـ= 1079م)، وتُوفي سنة (556هـ= 1160م). [6]

15- أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير الكلبي، كان من المشتغلين بعلم الكلام، وتردد بين المغرب والأندلس، وكان آخر أئمة المغرب في علوم الاعتقادات، التي أخذها عن أبي بكر محمد بن الحسن الحضرمي الذي تُوفى ببلاد الصحراء سنة (520هـ= 1126م). [7]

---

(1) ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج2 ص136-137.

(2) ابن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ص225.

(3) ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج3 ص856-857.

(4) بطليوس بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة، مدينة كبيرة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص447.

(5) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص86.

(6) ابن الأبار: م. ن، ج2 ص194.

(7) التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت627هـ= 1220م): التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط2، 1417هـ= 1997م، ص105-106.

16- عبد الله بن عليّ بن عبد الملك بن ابراهيم بن عيسى بن صالح الهلالي ولد سنة (447هـ= 1055م)، من غرناطة، ويعرف بابن سمجون، كان من جلة العلماء وحفاظ المسائل، وتُوفي سنة (524 هـ= 1129م). (1)

17- عليّ بن عبد الله بن خلف بن النعمة، فقيه، حافظ، محدث، روى الحديث فأكثر، شرح كتاب النسائي في عشرة كتب، وألف كتاب التفسير الذي جمع فيه علوماً مختلفة، وسماه ري الظمآن في علوم القرآن، توفي سنة (570هـ= 1174م). (2)

18- عياش بن محمد بن عبد الرحمن بن الطفيل العبدي، من إشبيلية، أخذ القراءات عن أبيه وغيره، وتصدر للإقراء بعد أبيه وخلفه في حلقته، وكان مقرئاً مجوداً، وله كتاب جالب الإفادة، وتوفي سنة (585هـ= 1189م). (3)

19- أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد الله ، من المرية، كان من الفقهاء المحدثين، متقدماً في علم الأصول والتفسير، ويقال أنه رأس علم المالكية هو والقاضي أبي بكر بن العربي، في وقتهما، تُوفي سنة (540هـ= 1145م).(4)

20- عيسى بن يوسف بن عيسى بن عليّ الأزدي، من فاس، يعرف بابن الملجوم، كان راوية، جامعاً للدواوين القديمة، والدفاتر النفيسة، حريصاً على ذلك، وُلد سنة (476هـ= 1083م)، وتوفي سنة (543هـ= 1148م). (5)

21- عبد المنعم بن مروان بن عبد الملك بن سمجون ، من طنجة، نشأ بغرناطة وتفقه بها على أبي محمد عبد الواحد بن عيسى الهمداني، وسمع الحديث من أبي علي الغساني، وكان فقيهاً جليلاً، وُلي قضاء غرناطة في مدة إمارة علي بن يوسف بن تاشفين، تُوفي سنة (524هـ= 1129م). (6)

---

(1) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص253.

(2) الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ج2 ص552.

(3) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص37.

(4) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص19-20.

(5) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص16-170.

(6) ابن الأبار: م. ن، ج3 ص130.

22- عبد الله بن إسماعيل، من إشبيلية، حفظ الحديث والفقه، وكان يميل إلى إتباع الحديث، وله مصنفات في شرح المدوَنة ومختصر ابن أبي زيد، توفى سنة (497هـ= 1103م).[1]

23- وقد ظهر من فقهاء المرابطين أبو القاسم بن عذرا الفقيه، أخو سليمان بن عذرا الجزولي، وأخوه سليمان، القائمين بأمر المرابطين بعد عبد الله بن ياسين. [2]

24- ومنهم لمتاد بن نفير اللمتوني كان من عباد المرابطين وفقهائهم، صاحب سجلماسة عند قيام المرابطين، ويضرب المثل بفتواه في بلاد الصحراء. [3]

25- عبد الله بن سعيد الوجدي، ولي قضاء بلنسية [4] لأول فتحها في الدولة المرابطية سنة (495هـ= 1101م)، وعلى يديه وتحت نظره تم بناء المحراب بالمسجد الجامع منها في سنة (498هـ= 1104م)، إلى أن ملكها الروم سنة (636هـ= 1238م)، وكان من أهم الفقهاء الحفاظ لمسائل الرأي القائمين عليها، وتُوفي قبل سنة (510هـ= 1116م)، وبعده ولي القضاء أبو الحسن بن واجب. [5]

---

(1) ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج2 ص439-440.

(2) ابن عياض، عياض بن موسى (ت544هـ= 1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد محمود، عدد الأجزاء8، بيروت، 1386هـ= 1967م، ج3 ص780.

(3) ابن عياض: م. ن، ج3 ص780.

(4) بلنسية السين مهملة مكسورة وياء خفيفة، كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بكورة تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص490.

(5) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص302-303.

المبحث الثالث

اهتمام حكام المرابطين بالأدب واللغة

أولاً–الأدب

اهتم حكام المرابطين بالأدب وشجعوا عليه، كما اهتموا بالعلوم الدينية، ونتيجة لذلك ظهر العديد من الأدباء ومنهم:

1- عبد الرحمن بن أسباط، من المرية، الذي استشاره يوسف بن تاشفين، عندما استعان به ابن عباد على النصارى. [1]

2- محمد بن سليمان الكلاعي الكاتب، ويعرف بابن القصيرة.· [2]

3- عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري ذو الوزارتين، أديب الأندلس في عصره. ولد سنة (529 هـ= 1134م)، وتوفى في يابرة [3]،وكان كاتباً عالماً بالتاريخ والحديث، وكان أحد الزعماء في صناعة الشعر والنثر، وكان يكتب للأمير سير بن أبي بكر بن تاشفين، إلى أن اتصل بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ومن رسائله من سير إلى أمير المسلمين رسالة يخبر فيها بفتح مدينة شنترين [4]، ومن كتبه كتاب الأغاني. وهو صاحب القصيدة " البسامة في رثاء بني الأفطس، وله كتاب في الانتصار لأبي عبيد البكري على ابن قتيبة. [5]

4- محمد بن عبد الغفور بن محمد بن عبد الغفور الكلاعي، من غرب الأندلس، وكان من أهم الكتاب، وألف كتاب الانتصار وله رسالة إحكام صنعة الكلام في كتاب، ورسالة الساجعة والغريب، وغير ذلك، مع تصرفه في النظم والآداب. [6]

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص49-50.

(2) قمت بالترجمة له في فصل العدل عند حكام المرابطين.

(3) يابرة بلد في غربي الأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص424.

(4) شنترين كلمتان مركبة من شنت كلمة، ورين كلمة، ورين بكسر الراء وياء مثناة من تحت ونون، مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة في غربي الأندلس، ثم غربي قرطبة. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص367.

(5) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج2 ص816؛ عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص164؛ الزركلي: الأعلام، ج4 ص149.

(6) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص4.

5- الوزير الكاتب أبو محمد عبد الغفور الأشبيلي الذي كتب إلى الأمير أبي بكر سير من أمراء المرابطين في غزوة غزاها. (1)

6- أبو عبد الله بن الخصال وأخوه أبو مروان اللذان كانا كاتبين لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، إلى أن أخر أمير المسلمين أبا مروان عن الكتابة، لخلاف كان بينهما، فلما رأى ذلك أبو عبد الله طلب منه أن يعفيه فأعفاه، ورجع إلى قرطبة بعد ما مات أخوه أبو مروان بمراكش، وأقام هو بقرطبة إلى أن استشهد (2)، ولا ندع هذه الحادثة تمر دون تقييم، وذلك لمن يتهم المرابطين بعدم الذوق الأدبي، فكيف يفطن على بن يوسف لتورية ابن الخصال الذي ظن أنه تخفى على الأمير، إن لم يكن على جانب من العلم يدرك به سوء النية التي أملت على كاتبه رسالته تلك. (3)

7- ومنهم عبد العزيز بن سعيد بن عبد العزيز الكاتب من بطليوس، يعرف بابن القبطورنه، كان من أهم الأدباء ورؤسائهم، كاتباً وشاعراً محموداً"، وكتب للمتوكل بن الأفطس ولابن تاشفين بعده، وكان أبو الوليد بن الدباغ يقول" "أبو بكر بن القبطورنه، وأبو محمد بن عبدون، هما أديبا غرب الأندلس، وتُوفي بعد سنة (520هـ= 1126م). (4)

8- ابن الجد محمد بن عبد الله، من لبلة (5)، وسكن إشبيلية، المتقدم في الأدب والبلاغة، وعلم النسب، وُلد سنة (496هـ= 1102م)، وتُوفى سنة (515هـ= 1121م) (6).

9- محمد بن عيسى بن محمد اللخمي من دانية (7)، يعرف بابن اللبانة، يوصف بأنه:" كان من جلة الأدباء، غزير الأدب، قوي العارضة، متصرفا في البلاغة"، وله مؤلفات عديدة

---

(1) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3 ص345.

(2) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص39.

(3) كنون: النبوغ المغربي، ج1 ص80.

(4) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص90.

(5) لبلة بفتح أوله ثم السكون ولام أخرى، قصبة كورة بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكشونية وهي شرق من أكشونية وغرب من قرطبة، وتعرف لبلة بالحمراء. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص10.

(6) ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج3 ص830-831؛ بن دحية، أبي الخطاب عمر بن حسن (ت633هـ= 1235م): المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، د.ت. ط، ص190.

(7) دانية بعد الألف نون مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت مفتوحة مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية، على ضفة البحر شرقاً مرساها عجيب يسمى السمان. ياقوت: معجم البلدان، ج2 ص434.

منها كتاب مناقل الفتنة، وكتاب نظم السلوك في وعظ الملوك، وكتاب سقيط الدرر ولقيط الزهر، وتُوفي بميورقة سنة (597هـ= 1200م). [1]

10- محمد بن مسعود بن طيب بن خلصة وُلد سنة (465هـ= 1072م)، من فرغليط [2] من شقورة [3]، كان عالماً في الآداب واللغات، وقد كان له إلى جانب رسائله وأشعاره مؤلفات منها " ظل الغمامة وطوق الحمامة " " وسراج الأدب " وقصيدة في نسب الرسول تسمى " معراج المناقب "، تُوفى مقتولاً سنة (540 هـ= 1145م). [4]

ثانياً-الشعر

نشأت دولة المرابطين في بدايتها نشأة دينية، فحرصت على الجهاد في سبيل الله لتحقيق وحدة المغرب والأندلس، فلم تشجع الحركة الأدبية في بدايتها، وخاصة الشعر، إلا أن حكامها سرعان ما اهتموا بتلك العلوم نتيجة انفتاحهم على الأندلس، وقد نالت دولة المرابطين نصيبها من الذم نتيجة عدم الاهتمام بتلك العلوم بداية الأمر. [5]

ورغم ذلك فقد برع العديد من الشعراء زمن المرابطين واشتهر شعر المدح في تلك الفترة حيث مدح الشعراء أخلاق أمراء المرابطين ومنهم:

1- أبو عامر بن أرقم، الذي مدح يوسف بن تاشفين بقوله:

أنت الأمير الذي للمجد همته   وللمسالك يحميها وللدول. [6]

2- الشاعر محمد بن عبد الرحمن العقيلي الجراوي، الذي مدح علي بن يوسف بن تاشفين في قصيدة منها:

---

(1) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص333-334.

(2) فرغليط بضم أوله وسكون ثانيه وغين معجمة مضمومة ولام مكسورة وياء ساكنة وطاء مهملة قرية من نواحي شقورة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص254.

(3) شقورة بفتح أوله وبعد الواو الساكنة راء مدينة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص355.

(4) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج6 ص913؛ ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص188.

(5) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3 ص190.

(6) ابن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ص133.

أيا ملكاً يسمـــو بســعد مــســاعد وقدر على علو الكواكب صاعد

نظمت قـصيداً في عــلاك مضمناً ثلاث قــواف في ثلاث قـصايد

إذا فصلت أغنى عن البعض بعضها وإن وصلت كانت ككعب وساعد [1]

3- أبو بكر بن يحيى بن محمد بن يوسف الذي مدح تاشفين بن يوسف بقصيدة منها:

يا أكرم الناس عفواً عند مقدرة وأجمل الناس في خَلق وخُلق. [2]

4- إبراهيم بن يحيى بن محمد بن خليفة بن ينق من شاطبة [3]، ويكثر التمثل بالشعر، ويمتاز بسعة حفظه للأخبار، وتوفي سنة (569هـ= 1173م). [4]

كما حظي الشعراء في هذا العصر بمكانة عظيمة لدى الأمراء الأسرة الحاكمة، وكبار القادة، وعمال الدولة على الأقاليم المختلفة، ومن هؤلاء الأمير أبو اسحق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، الذي كان قصره محط أنظار الشعراء، ومنهم الشاعر الأندلسي ابن خفاجة الذي مدحه. [5]

وقد ظهر نوع آخر من الشعر في عصر المرابطين هو شعر الهجاء الذي انتقد أداء بعض الأمراء ومن أبرز من نبغ فيه:

1- أبو بكر يحيى بن سهل اليكي هجاء المغرب الذي لم يجد إلا الهجاء، ولم ينشط إلا به، وله يخاطب أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في شأن بني معيشة

على حمى الملك من ساسة وما أنت للملك بالسائس

من السوس أصبحت تخشى النفاق وقد جاءك النحس من باديس.

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص308.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص95.

(3) شاطبة بالطاء المهملة والباء الموحدة مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص309.

(4) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص130.

(5) ابن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ص241.

وقوله:

في كل من ربط اللثام دناءة   ولو أنه يعلو على كيوان. [1]

2- أبو جعفر أحمد بن محمد، من مدينة جيان من جزيرة الأندلس، الذي اشتهر بهجاء فقهاء المرابطين ومنه قوله:

أهل الرياء لبستموا ناموسكم   كالذئب أدلج في الظلام العاتم

فملكتموا الدنيا بمذهب مالك   وقسمتموا الأموال بابن القاسم

وركبتموا شهب الدواب بأشهب   وبأصبغ صبغت لكم في العالم [2]

ويبدو أن أمراء المرابطين قد تقبلوا الذم كما تقبلوا المدح، فبالرغم من مديح بعض الشعراء لصفاتهم، إلا أن آخرين وجهوا لهم النقد اللاذع، وانتقدوا ظواهر لم تكن مألوفة قبل وجود المرابطين ومنها ذلك الاحترام والتقدير الذي أبداه حكام المرابطين للعلماء والفقهاء وتسلطهم على الناس أحياناً به.

ومن ألوان الشعر التي ظهرت في هذا العصر شعر الطبيعة، فقد شهد ظهور عدد كبير من الشعراء الذين نبغوا في هذا المجال ومنهم:

1- إبراهيم بن أبي الفتح بن عبيد الله بن خفاجة الشاعر ولد سنة (451هـ= 1059م)، من جزيرة شقر [3]، وكان عالماً بالأدب، متقدماً في الشعر، وكان يجيد الشعر فنجده مادحاً وراثياً ومشبباً ومشبهاً، توفي سنة (533هـ= 1138م). [4]

ويقول غرسية غومس عن روضيات ابن خفاجة " أنها تعبر عن طبع فنى لماح، ويمكن القول أنه سبق به شعراءنا في وصف الطبيعة على النحو الذي نعرفه، وقد كان أثر طريقة ابن خفاجة بعيداً، حتى ليلمس أثر هذا الأسلوب إلى نهاية عصر غرناطة". [5]

---

(1) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج2 ص266-268.

(2) عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص171.

(3) شقر بفتح أوله وسكون ثانيه جزيرة شقر في شرقي الأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص354.

(4) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص124-125.

(5) بالنثيا (آنخل جنثالث): تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، د. ط، 1374هـ= 1955م، ص124.

ومن أمثلته ما قاله علي بن عطية بن الزقاق في وصف فرس أغر بقوله:

وأغرَّ مَصقولِ الأديم تخالُه   برقاً إذا جَمع العِتَاقَ رِهانُ
يطأ الثّرى متبختراً فكأنَّه   من لَحْظ من في مَتْنه نَشوان
فكأنَّ بدر التِّمِّ فوق سَراته   حُسناً وبين جُفونه كِيوان. (1)

ولم تخل دولة المرابطين من النساء الشاعرات فقد نبغت العديد من نساء المرابطين في الشعر ومنهن:

1- تميمة بنت يوسف بن تاشفين أخت علي بن يوسف، كانت مشهورة بالأدب، سكنت مدينة فاس، ومما وأنشدته:

هي الشمس مسكنها في السماء   فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع إليها الصعودا   ولن تستطيع إليك النزولا. (2)

2- زينب بنت ابراهيم بن تيفلويت زوج أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين، كانت تحفظ الكثير من الشعر ولها يقول أبو إسحاق الخفاجي:

مشهورة في الفضل قدما والنهى   والنبل شهرة غرة في أدهم
تولي الأيادي عن يد نزل الندى   منها بمنزلة المحب المكرم
ملكت به الأحرار أكرم حرة   بسط المقل بها يمين المنعم. (3)

هذا يدل على تشجيع المرابطين لنسائهم في طلب العلم، فل يقتصر العلم على الرجال بل تعداه إلى النساء، وإعطاء الحرية لهن لممارسة الشعر، وإقامة المجالس لذلك.

---

(1) ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص106.
(2) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص255-256.
(3) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص255-256.

ثالثاً–الزجل

يقول ابن خلدون: "ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور، لسلاسته وتنميق كلامه وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعراباً. واستحدثوا فناً سموه بالزجل، والتزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد، فجاءوا فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجمة". (1)

أي أن الأندلسيين اخترعوا نوعاً من الزجل الشبيه بفن الموشحات التي شهدته الأندلس، ويبدو أنهم وجدوا سهولة في ذلك النوع من الزجل البعيد أحياناً عن العربية الفصحى.

1- وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان، من قرطبة، الذي كان بارعاً في الرواية، وإن كانت قد قيلت قبله بالأندلس، لكنها لم تكن جميلة بقدر على ما كانت بيديه، ولم تشتهر إلا في زمانه، وكان لعهد المرابطين، وهو إمام الزجالين على الإطلاق، وكانت أزجاله تروى ببغداد أكثر مما رويت بحواضر المغرب، وتوفي ابن قزمان سنة (508هـ= 1114م). (2)

ووصف ابن قزمان بأنه: "إمام الزجالين بالأندلس، وكان يشتغل في أول أمره بالنظم المعرب، فأراد أن ينفرد عن أفراد عصره كابن خفاجة وغيره، فعمد إلى طريقة لا يباريه فيها أحد منهم، فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس". (3)

ووصف بأن: "شهرته تغني عن الإطناب في ذكره، وقد جمع أزجاله وديوانها مشهور بالمشرق والمغرب، وذكر في خطبته أن الإعراب في الزجل لحن ". (4)

ونذكر من أزجال ابن قزمان قوله في هزيمة:

والكتف يتعلق والقحف يقسم	وشنيوران راقد في برك من دم.
قد خط فيه السيف خطا لا يفهم	وجا الغبار من فوق بحل نشاره. (5)

---

(1) مقدمة تاريخ ابن خلدون، مصر، د. ط، 1387هـ= 1968م، ص441.

(2) ابن خلدون: م. ن، ص442؛ ابن بشكوال: الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج3 ص831–832.

(3) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1 ص100.

(4) ابن سعيد: م. ن، ج1 ص167.

(5) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج1 ص168.

2- وممن عاصر ابن قزمان بشرق الأندلس محلف الأسود، وله محاسن من الزجل منها قوله:

قد كنت منشوب واختشيت النشب   وردني ذا العشق لأمر صعب

حتى تنظر الخد الشريق البهي   تنتهي في الخمر إلما تنتهي

ياطالب الكيميا في عيني هي   تنظر بها الفضة وترجع ذهب. [1]

رابعاً-الموشحات

وظهرت فنون الموشحات ومن أبرز من برع فيها:

1- الأعمى التطيلي، ثم يحيى بن بقي، ثم أبو بكر بن الأبيض وكان في عصرهم أيضاً الحكيم أبو بكر بن باجة [2]. [3]

وللتطيلي من الموشحات المذهبة قوله:

كيف السبيل إلى   صبري وفي العالم أشجان

والركب وسط الفلا   بالخرد النواعم قد بانوا. [4]

2- يحيى بن بقي القرطبي ومن وموشحاته:

غلب الشوق بقلبي فاشتكى   ألم الوجد فلبت أدمعي

أيها الناس فؤادي شغف   وهو من بغي الهوى لا ينصف. [5]

---

(1) ابن خلدون: مقدمة تاريخ ابن خلدون، ص442.

(2) سأذكر ترجمته فيما بعد.

(3) المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ= 1631م): أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا، عدد الأجزاء3، القاهرة، 1357هـ= 1939م، ج2 ص208؛ بنصبيح، عبد الواحد: المرابطون، مكتبة سلمى الثقافية، ط1، 1426هـ= 2006م، ص36. ابن عذارى: البيان المغرب، ج4 ص76؛ حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص391.

(4) المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، ج2 ص208.

(5) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4 ص237.

3- ومن أشهرهم أبو بكر ابن باجة، ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس ابن تيفلويت صاحب سرقسطة فألقى عليه بعض موشحاته:

جرر الذيل أيما جر   وصل السكر منك بالسكر

فطرب الممدوح لذلك وختمها بقوله

عقد الله راية النصر   لأمير العلا أبي بكر

فلما طرق ذلك سمع ابن تيفلويت صاح واطرباه وشق ثيابه وقال ما أحسن ما بدأت وما ختمت، وحلف الأيمان المغلظة أن لا يمشي ابن باجة لداره إلا على الذهب، فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه. (1)

خامساً-علوم اللغة

نبغ في عصر المرابطين الكثير من العلماء في مجال النحو وعلوم اللغة، وذلك لحرص المرابطين على فهم اللغة العربية فهي لغة القرآن الكريم ومن العلماء المشهورين في علوم اللغة:

1- أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن خاطب بن زاهر الباجي الأندلسي، كان من أبرز النحاة وهب عمره لتعليم العربية واللغات، تُوفي سنة (542هـ= 1147م) عن 80 سنة. (2)
2- محمد بن حكم بن محمد بن أحمد بن باق الجزامي السرقسطي، كان نحوياً، لغوياً، إماماً في علم العربية، عارفاً بأصول الدين، سكن فاس، تُوفي سنة (530هـ= 1135م). (3)
3- أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري، من غرناطة، متفنن في علوم القراءة، ملم بالأدب، والإعراب، ومن كتبه الإقناع في القراءات، وألف كتاب الطرق

---

(1) المقري: م. ن، ج7 ص7-8.
(2) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ= 1505م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عدد الأجزاء2، المكتبة العصرية، لبنان، د. ت. ط، ج1 ص371.
(3) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1 ص96.

المتداولة في القراءات، ولد سنة (491هـ= 1097م)، تُوفي سنة (540هـ= 1145م). (1)

4- أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله، ويعرف بالتدميري لأن أصله منها، ونشأ بالمرية، وكان عالما بالعربية واللغات والأداب، وجعله السلطان بمراكش مؤدباً لبنيه، سكن بجاية، ومن مؤلفاته نظم القرطين وضم إشعار السقطين، جمع فيه أشعار الكامل للمبرد والنوادر لأبي علي البغدادي، وله كتاب التوطئة في العربية، وله شرح في كتاب الفصيح لثعلب، وله شرح أبيات الجمل للزجاجي، وله كتاب مفيد كبير الحجم سماه شفاء الصدور، وآخر اختصره منه سماه المختزل، وفرغ من تأليف الأول سنة (538هـ= 1143م)، وله أيضا كتاب الفوائد والفرائد، وتُوفي بمدينة فاس سنة (555هـ= 1160م). (2)

5- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الفراء، كان شاعراً يعلم بالمرية القرآن والنحو واللغة. (3)

6- أحمد بن عبد العزيز بن هشام بن غزوان الفهري، من شنت مرية الغرب، وكان من أهل المعرفة بالنحو، واللغة، والعروض، وله أرجوزة مزدوجة في قراءة نافع، وثانية في قراءة ابن كثير، ومن مؤلفاته كتاب فوائد الإفصاح عن شواهد الإيضاح في مجلد. (4)

---

(1) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص26-27.

(2) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص60؛ ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي، ص41.

(3) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3 ص386.

(4) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص46.

المبحث الرابع
اهتمام حكام المرابطين بالعلوم الأخرى

أولاً: الطب

لم تخل أي دولة إسلامية من وجود الأطباء فيها، سواء لعلاج الحكام بشكل خاص أو علاج الناس بشكل عام، ويبدو أن المرابطين قد اهتموا بوجود الأطباء شأنهم شأن الدول الأخرى.

فيذكر أنه كان عندهم منصب يعرف برئيس الصناعة الطبية، وهذا يدل على اهتمامهم بعلاج الأمراض التي تفتك بأجساد الناس. (1)

ومن أبرز من عرفه عصر المرابطين من الأطباء:

1- أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان، الذي وصف بأنه:" كان وزير ذلك الدهر، وعظيمه، وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه، له علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب ، كان زمن دولة المرابطين ، ونال المنزلة الرفيعة ، ولأبي العلاء بن زهر العديد من الكتب ككتاب الخواص، كتاب الأدوية المفردة، كتاب الإيضاح بشواهد الافتضاح في الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن إسحاق في كتاب المدخل إلى الطب، كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس، مجربات، مقالة في الرد على أبي علي بن سينا في مواضع من كتابه الأدوية المفردة، ألفها لابنه أبي مروان، كتاب النكت الطبية، كتب بها إلى ابنه أبي مروان، مقالة في بسطه لرسالة يعقوب بن إسحاق النكدي في تركيب الأدوية، وأمثلة ذلك نسخ له ومجربات أمر بجمعها علي بن يوسف بن تاشفين بعد موت أبي العلاء، فجمعت بمراكش، وبسائر بلاد العدوة والأندلس، نسخت سنة (526هـ= 1131م)، وتوُفي أبو العلاء بن زهر سنة (525هـ= 1130م) بمدينة قرطبة". (2)

2- عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر، لحق بأبيه في علم الطب، ذاع ذكره في الأندلس وفي غيرها من البلاد، واشتغل الأطباء بمصنفاته، وكان قد خدم

---

(1) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص268.

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص517-519؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2 ص245.

المرابطين، ونال من الأموال شيئاً كثيراً، وكان قد ألف كتاب الاقتصاد في إصلاح الأجساد للأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، ولأبي مروان بن أبي العلاء بن زهر العديد من الكتب مثل كتاب التيسير في المداواة والتدبير، كتاب الأغذية، كتاب الزينة تذكرة إلى ولده أبي بكر في أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه، مقالة في علل الكلى، رسالة كتب بها إلى بعض الأطباء بإشبيلية في علتي البرص والبهاق، كتاب تذكرة ذكر بها لابنه أبي بكر أول ما تعلق بعلاج الأمراض، وتُوفي بإشبيلية سنة (557هـ= 1161م)، ودفن بها خارج باب الفتح. (1)

3- أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر، ولد بمدينة إشبيلية، وتميز في العلوم، وأخذ علم الطب عن أبيه، ويوصف بأنه قد أكمل صناعة الطب والأدب، ولم يكن في زمانه أعلم منه بصناعة الطب، وذكره قد شاع واشتهر في أقطار الأندلس وغيرها من البلاد، وخدم الدولتين، وذلك أنه لحق دولة المرابطين واستمر في الخدمة مع أبيه في آخر دولتهم، ثم خدم دولة الموحدين وهم بنو عبد المؤمن، وقد قتل مسموماً سنة (596هـ= 1199م) بمراكش، ودفن هناك في الموضع المعروف بمقابر الشيوخ. (2)

4- محمد بن أحمد بن عامر البلوي، من طرطوشة (3)، وسكن مرسية، يعرف بالسالمي لأن أصله من مدينة سالم، له كتاب في الطب سماه الشفاء. (4)

5- ومنهم عبد الله بن يوسف بن جوشن الأزدي، من دروقة (5) من الثغر الشرقي، وسكن شاطبة. (6)

---

(1) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج3 ص80-81؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص519-521.

(2) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص521-525.

(3) طرطوشة بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة، مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية، وهي شرقي بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر ابره ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة تعد في جملتها تحلها التجار وتسافر منها إلى سائر الأمصار. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص30.

(4) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص26-27.

(5) دروقة بفتح أوله وثانيه وسكون الواو وقاف بلدة أو قرية بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج2 ص453.

(6) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص250.

ثانياً: التاريخ والجغرافيا

ظهر في عصر المرابطين الكثير من العلماء الذين اهتموا بالجغرافيا وكتابة التاريخ، وقد مال المسلمون بشكل عام إلى حفظ أخبارهم كي تتناقلها الأجيال الأخرى، وحرص حكام الدول على التدوين لما قاموا به من أعمال حتى يظلوا قدوة للأجيال القادمة، وحتى يخلدوا أعمالهم، وقد اهتم حكام المرابطين بالجغرافيا لوصف طبيعة الأمكنة التي فتحوها، وعادات أهلها وتقاليدهم، واهتموا بالتدوين التاريخي كما باقي المسلمين ومن أبرز من نبغ من العلماء في عصرهم:

1- يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري من غرناطة، يعرف بابن الصيرفي، ألف كتاب سماه الأنوار الجلية في تاريخ الدولة المرابطية، وكتاب سماه قصص الأنبياء وسياسة الرؤساء، لم يصلا إلينا، سوى في بعض روايات نقلها ابن الخطيب وغيره، ومنها رواية عن غزوة ألفونسو المحارب للأندلس وكان من شعرائها، وخدام أمرائها، وسكن في مرسية وتُوفي بها سنة (557 هـ= 1161م). (1)
2- محمد بن الخلف بن الحسن بن إسماعيل الصدفي يعرف بابن علقمة، من بلنسية، وألف كتاباً في تغلب الروم على بلنسية، سماه بالبيان الواضح في العلم الفادح، وُلد سنة (428هـ= 1036م)، وتُوفي سنة (509هـ= 1115م). (2)
3- الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الأشبيلي، له عدة كتب منها قلائد العقيان الذي جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيرة، وترجم لكل واحد منهم، وله كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملمح أهل الأندلس، تُوفي قتيلاً بمراكش سنة (528هـ= 1134م)، وألف الفتح " قلائد العقيان " لأمير المسلمين إبراهيم بن يوسف بن تاشفين. (3)
4- محمد بن أحمد بن عامر البلوي، من طرطوشة، وسكن مرسية، يعرف بالسالمي لأن أصله من مدينة سالم، كان من أهل الأدب والعلم والتاريخ، وله في التاريخ كتاب درر القلائد وغرر الفوائد، وتُوفي سنة (559هـ= 1163م). (4)

---

(1) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج4 ص173، عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج3 ص443-444.
(2) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص335.
(3) ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج4 ص23-24.
(4) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج2 ص26-27.

5- أبو الحسن على بن بسام الشنتريني، صاحب كتاب الجزيرة، من أشهر كتب الأدب والتاريخ، وهو من مدينة شنترين البرتغالية، ولكنه غادرها إلى إشبيلية، عقب سقوطها بأيدي النصارى، وقد انتهى ابن بسام من كتاب الذخيرة سنة (503هـ= 1109م). (1)

6- خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال بن يوسف بن داحة بن داكة بن نصر بن عبد الكريم بن واقد الأنصاري، من قرطبة، وأصله من شريون (2) بشرق الأندلس، وكان واسع الرواية، تاريخياً ذاكراً لأخبار الأندلس القديمة والحديثة، وخصوصا لما كان بقرطبة، له كتاب الصلة، وكتاب الغوامض والمبهمات في 12 جزءاً، وكتاب الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة في 20 جزءاً، وكتاب المحاسن والفضائل في معرفة العلماء الأفاضل في 21 جزءاً إلى غير ذلك وُلد سنة (494هـ= 1100م)، وتُوفى سنة (578هـ= 1182م). (3)

وفي علم الجغرافيا ظهر الكثير من العلماء منهم:

1- أبو عبد الله محمد الإدريسي، صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وقد ألفه لرجار الثاني صاحب صقلية، ولذلك يعرف الكتاب بالرجاري. (4)

2- عبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجاري، صاحب كتاب المسهب في غرائب المغرب، وقد اتخذه بنو سعيد أساساً لكتاب المغرب في حلى المغرب. (5)

ثالثاً: الفلسفة

رغم أن دولة المرابطين كانت تقوم على مبادئ الدين الإسلامي، إلا أن حكامها استعانوا بالفلاسفة، فلم تكن الفلسفة محرمة في عهد المرابطين، بشرط أن لا تخرج عن تعاليم الدين الحنيف، ربما تماشياً مع عادات أهل الأندلس الذين كانوا لا ينكرون ذلك العلم، ومن أبرز الفلاسفة في ذلك العهد:

---

(1) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج3 ص448-449.

(2) شريون حصن من حصون بلنسية بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص341.

(3) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص248-250.

(4) حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص402-403.

(5) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج2 ص35-36.

1- الفيلسوف مالك بن وهيب كان وزيراً لعلى بن يوسف، ولم ينكر تعاطيه الفلسفة، وهو من إشبيلية، كان فيلسوف المغرب، استدعاه من إشبيلية أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين إلى مراكش، وصار جليسه، وقد كان مالك بن وهيب قد شارك في جميع العلوم، إلا أنه كان لا يظهر إلا ما يروج في ذلك الزمان، وكان لديه كتاباً سماه قراطة الذهب في ذكر لئام العرب، ضمنه لئام العرب في الجاهلية والإسلام، ولمالك بن وهيب تحقيق لكثير من كتب الفلسفة، ومنها كتاب الثمرة لبطليموس في الأحكام، وكتاب المجسطي في علم الهيئة. (1)

2- أحمد بن يوسف التنوخي، من إشبيلية، يعرف بابن الكماد، كان من أهل المعرفة بالعدد، وصناعة النجوم، ومن كتبه القبس والمستنبط على أرصاد أبي إسحاق الطليطلي المعروف بالزرقالة. (2)

3- الحسن بن علي بن خلف الأموي، من قرطبة، وسكن إشبيلية، يعرف بالخطيب، وله كتب منها كتاب روضة الأزهار استعمله الناس، وكتاب في الأنواء، وكتاب اللؤلؤ المنظوم في معرفة الأوقات بالنجوم، وكتاب روضة الحقيقة في بدء الخليقة، وكتاب تهافت الشعراء، توفي بإشبيلية سنة (602هـ= 1205م). (3)

4- موفق مولى يوسف بن إبراهيم المعروف بالمسنالي، من المرية وُلد سنة (496هـ= 1102م)، وكان من أهل المعرفة بالحساب والنجوم وله في ذلك كتاب سماه الاهتداء بمصابيح السماء. (4)

5- محمد بن يحيى بن الصائغ، ويعرف بابن باجة، وقد كان معاصراً لمالك بن وهيب الإشبيلي، غير أن مالك لم يكتب إلا قليلاً في الفلسفة، لما لحق به من التهديد، وأما أبو بكر فكتب كل ما تعرض له من ذلك العلم، ولم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفلسفة، ولابن باجة من الكتب شرح كتاب السمع الطبيعي لأرسطوطاليس، قول على بعض كتاب الآثار العلوية لأرسطوطاليس، قول على بعض كتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس، قول ذكر فيه التشوق الطبيعي وماهيته، رسالة الوداع، قول يتلو رسالة

---

(1) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3 ص479؛ بنصبيح: المرابطون، ص39؛ عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص185؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص228.

(2) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج1 ص34.

(3) ابن الأبار: م. ن، ج1 ص213.

(4) ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي، ص197.

الوداع، كتاب اتصال العقل بالإنسان، فصول تتضمن القول على اتصال العقل بالإنسان، كتاب تدبير المتوحد، كتاب النفس، تعاليق على كتاب أبي نصر في الصناعة الذهنية فصول قليلة في السياسة المدنية، وكيفية المدن وحال المتوحد فيها، نبذ يسيرة على الهندسة والهيئة، رسالة كتب بها إلى صديقه أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي بعد قدومه إلى مصر تعاليق حكمية وجدت متفرقة، جوابه لما سئل عن هندسة ابن سيد المهندس وطرقه، كلام في الغاية الإنسانية كلام في الأمور التي بها يمكن الوقوف على العقل الفعال، كلام في الاسم والمسمي، كلام في البرهان، كلام في الفحص عن النفس(1)، آخر فلاسفة الإسلام بجزيرة الأندلس، وكان بينه وبين الفتح بن خاقان صاحب القلائد عداوة شديدة.(2)

---

(1) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص515-517.

(2) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج7 ص17؛ بنصبيح: المرابطون، ص40. منقول عن مجلة المورد العراقية، 1978م، عدد3 ص117.

الفصل الرابع: جهاد حكام المرابطين

المبحث الأول: الجهاد لإقامة الحكم الإسلامي

المبحث الثاني: الجهـاد لتحقيق وحدة الأندلس

المبحث الثالث: الجهاد ضد الممالك النصرانية

المبحث الأول

الجهاد لإقامة الحكم الإسلامي

قامت دولة المرابطين على أساس تحكيم شرع الله من حيث السعي لوحدة المسلمين وصد الأخطار عنهم، فقد سعى حكام المرابطين إلى تحقيق الوحدة الإسلامية بمفهومها الواسع، فحرصوا على الجهاد لإقامة الحكم الإسلامي في المغرب أولاً، ثم اتجهوا للجهاد لتحقيق وحدة المغرب، وحاولوا صد أعداء الأمة الإسلامية بالجهاد ضد الهجمات الأسبانية التي تعرض لها المسلمون في الأندلس، ثم محاولة توحيد الأندلس، وسنعرض إلى محاولة المرابطين تحقيق تلك الأهداف التي سعوا لها.

الجهاد لغة هو قتال العدو، فجاهد العدو قاتله، وجاهد في سبيل الله أي قاتل أعداء الله.(1)

والجهاد اصطلاحاً هو: الدعوة إلى الدين الحق (2)، والقتال مع من لا يقبله. (3)

فقد حث الإسلام على الجهاد إذ قال تعالى: " لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيمًا".(4)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: " يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال الصلاة على ميقاتها، قلت ثم أي؟ قال ثم بر الوالدين، قلت ثم أي؟ قال الجهاد في سبيل الله. (5)

فقد وصف ابن خلدون المرابطين بأن جهادهم أفضل الجهاد، وأنهم يبيعوا نفوسهم في سبيل الله وجهاد عدوه ما يدل على رسوخ إيمانهم وقوة دينهم، التي كانت سبباً في عزهم وانقياد

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج8 ص388.

(2) الجرجاني: التعريفات، ص107.

(3) الكفوي: كتاب الكليات، ص354.

(4) سورة النساء، الآية 95.

(5) البخاري: الجامع الصحيح المختصر، ج3 ص1025.

الناس لهم، وكان أول من بدأ الجهاد منهم بالأندلس يوسف بن تاشفين. [1]

بدأت محاولة الجهاد لإقامة الحكم الإسلامي عن طريق إقامة دولة تقوم على تطبيق الشريعة الإسلامية، فقد ذكرنا سابقاً كيف خرج الأمير يحيى يبتغي طلب العلم الشرعي، ومقابلته الفقيه أبي عمران الفاسي، وكيف أرسل معه عبد الله بن ياسين ليعلم قومه أمور دينهم، ولكنهم لم يستجيبوا لدعوته البعيدة عن عقيدتهم الفاسدة، وحاولوا قتله، فخرج إلى منطقة أخرى ومن هناك بدأ الدعوة للجهاد فقد بعث عبد الله بن ياسين لأهل الجبل الموالي للمتونة يدعوهم فيها إلى الدخول في الإسلام، وأن يؤدوا ما فرض عليهم من الزكاة، فقتلوا رسله، فأمر لمتونة بغزوهم، إلى أن هزموا أعداؤهم، وأمرهم عبد الله بن ياسين بإعطاء الخمس لأميرهم. [2] ثم بدأ بقتال قبائل لمتونة، حتى أذعنوا له وبايعوه على إقامة الكتاب والسنة، وأخذوا يغزوهم قبيلة بعد قبيلة، فغزا قبيلة مسوفة فهزموا وبايعوه على ما بايعته قبائل لمتونة وجدالة، فلما رأت قبائل صنهاجة هذا بايعته على السمع والطاعة، فكان كل من يأتيه تائباً يعلمه يضربه مائة سوط ثم يعلمه شريعة الإسلام، وأمرهم بالزكاة والصلاة وإخراج العشر وجعل لذلك بيت مال للإنفاق على الجيش وشراء السلاح. [3] وجعل عبد الله بن ياسين أمرهم إلى الأمير يحيى بن عمر، فلما كانت سنة (447هـ= 1055م)، اجتمع فقهاء سجلماسة ودرعة وكتبوا إلى عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر وأشياخ المرابطين كتابا يطلبون منهم الوصول إلى بلادهم ليطهروها مما هي فيه من المنكرات، وشدة البطش من الأمراء، فجمع عبد الله بن ياسين رؤساء المرابطين وشاورهم فوافقوا على الجهاد، وخرج بهم سنة (447هـ= 1055م) في جيش كثيف من المرابطين، فسار حتى وصل إلى بلاد درعة والتقى مع أميرها واستطاع هزيمته واستولى عبد الله بن ياسين على دوابهم وأسلحتهم، فأخرج الخمس من ذلك كله ووزعه على فقهاء سجلماسة ودرعة، وقسم الأربعة أخماس على المرابطين، ثم دخل سجلماسة وغير ما وجد بها من المنكرات، واستعمل على سجلماسة عاملاً من لمتونة وانصرف إلى الصحراء، ثم توفي الأمير يحيى بن عمر في بعض غزواته ببلاد السودان سنة (447هـ= 1055م). [4]

---

(1) تاريخ ابن خلدون، ج6 ص104.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص12-13.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص79-80.

(4) الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص12-13؛ مجهول: الحلل الموشية، ص22؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص183.

فتلاه أخاه أبا بكر بن عمر في قيادة الجيش، فدعا المرابطين إلى غزو بلاد المصامدة والسوس[1]، فخرج إليها سنة (448هـ= 1056م)، وجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين، واستطاع فتح جميع بلاد السوس، ثم دخل المرابطون أغمات سنة (449هـ= 1057م)، ثم فتحوا تادلة[2] وفتحوا بلاد برغواطة وهم قوم كفار، وكان أميرهم أبو حفص بن عبد الله بن أبي عبيد محمد بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطي، فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين حروب كثيرة، واستشهد فيها عبد الله بن ياسين، بعد وصيته للمرابطين ألا يختلفوا، وحثهم على الثبات في القتال، وكانت وفاة عبد الله بن ياسين سنة (451هـ= 1059م) ودفن، وبنى على قبره مسجد. [3]

وبرغواطة من بطون المصامدة وهم الجيل الأول منهم، كانوا كثيرين في بداية الإسلام، وكانوا متفرقين، وكانت مواطنهم خصوصاً من بين المصامدة في تامسنا[4] وريف البحر المحيط من سلا[5] وأسفي[6]، وكان زعيمهم طريف أبو صبيح، ويقال أنه ادعى النبوة، وسن لهم الشرائع ثم مات، وولى مكانه ابنه صالح الذي ادعى النبوة، وسن لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده، وأدعى انه نزل عليه قرآن، كانوا يقرؤونه في صلواتهم، وكانوا يسمونه صالح المؤمنين، وقد حكمهم 47 سنة، وقد أمر ابنه إلياس بإظهار دينهم إن قوي أمرهم، ثم تولى ابنه يونس فأظهر دينهم ودعا إلى كفرهم وقتل من لم يدخل في أمره، ، ثم تولى بعده محمد بن طريف، وكانت له مع البربر وقائع مشهورة، ثم تولى ابنه أبو الأنصار عبد الله، وتولى بعده ابنه

---

(1) السوس بلد بالمغرب كانت الروم تسميها قمونية، وقيل السوس بالمغرب كورة مدينتها طنجة، وهناك السوس الأقصى كورة أخرى مدينتها طرقلة، ومن السوس الأدنى إلى السوس الأقصى مسيرة شهرين. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص 218.

(2) تادلة بفتح الدال واللام من جبال البربر بالمغرب قرب تلمسان وفاس. ياقوت: معجم البلدان، ج2 ص 5.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 82؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص14-19.

(4) إقليم تامسنا في بلاد المغرب. الحميري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت866هـ= 1461م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1400هـ= 1980م، ص 129.

(5) سلا بلفظ الفعل الماضي من سلا يسلو مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص 231.

(6) أسفي بفتحتين وكسر الفاء بلدة على شاطىء البحر المحيط بأقصى المغرب. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص 180.

أبو منصور عيسى الذي ادعى النبوة، وخضعت له قبائل المغرب، إلى أن خرج اللمتونيون من مواطنهم بالصحراء إلى بلاد المغرب وأحبوا جهاد برغواطة، فزحف إليهم أبو بكر بن عمر أمير لمتونة مع قومه، وكانت له معهم معارك استشهد فيها عبد الله ابن ياسين سنة (450هـ= 1058م)، واستمر أبو بكر وقومه من بعده على جهادهم، فكانت نهايتهم على يد المرابطين. (1)

ثم رجع أبو بكر إلى مدينة أغمات وأقام بها إلى سنة (452 هـ= 1060م)، فخرج إلى بلاد المغرب وافتتح جبال فازاز، وسائر بلاد زناتة، ومدن مكناسة، وافتتح لواتة (2) سنة (452هـ= 1060م). (3)

وفي سنة (640هـ= 1242م) اتجه إلى أغمات، وكثر الخلق فيها ممن أتى إليه فقرر الانتقال إلى عاصمة جديدة في فحص (4) مراكش، وأثناء ذلك بلغه الصراع بين جدالة ولمتونة، فعزم على الخروج إلى بلاد الصحراء ليصلح أمرها ويقيم الجهاد بها، ثم خرج من أغمات ووصل إلى تادلة حتى أتى سجلماسة فدخلها وأقام بها أياماً، فأصلح أحوالها، فعاد إلى الصحراء مستخلفاً على المغرب يوسف بن تاشفين. (5) وكان رجوع أبي بكر بن عمر إلى الصحراء سنة (453هـ= 1061م)، ولما وصل إليها أصلح شأنها ورتب أحوالها وجمع جيشا كثيفا وغزا به بلاد السودان. (6)

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 82-84؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص207-210؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1 ص170-172.

(2) لواتة بالفتح وتاء مثناة ناحية بالأندلس، ولواتة قبيلة من البربر. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص 24.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص84؛ بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص184؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص20.

(4) الفحص بفتح أوله وسكون ثانيه وآخره صاد مهملة، كل موضع يسكن سهلا كان أو جبلا بشرط أن يزرع. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص236.

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص23؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص20-21.

(6) الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص21.

وكان أخذ نصف جيشه إلى الصحراء، وأبقى نصفه الآخر ليوسف بن تاشفين، ولما وصل يوسف بن تاشفين ملوية [1] وجد عدد جيشه أربعين ألفا من المرابطين، فاختار يوسف أربعة من قواده وهم محمد بن تميم الجدالي، وعمران بن سليمان المسوفي، ومدرك التلكاني، وسير بن أبي بكر اللمتوني، وأمر كل منهم على 5 آلاف من قبيلته، وقدمهم لقتال من بالمغرب، وسار ورائهم يغزو قبائل المغرب، فغزاها قبيلة بعد قبيلة، وسار حتى دخل أغمات. [2]

وفي سنة (554هـ= 1159م)، فتح يوسف كثيراً من البلاد بفضل جيشه الذي بلغ أكثر من 100 ألف فارس، فخرج بهم من مراكش قاصدا مدينة فاس [3] وافتتح قلعة فازاز، وزحف في عساكر المرابطين إلى فاس، ففتح جميع الحصون المحيطة بها، ثم فتحها صلحاً سنة (455هـ= 1063م)، ثم افتتح بلاد غمارة سنة (460هـ= 1067م)، وفي سنة (462هـ= 1069م)، حاصر فاس مدة ثم افتتحها عنوة، ومن منهم نجا من القتل فر إلى بلاد تلمسان. [4] وأقام بها إلى سنة (463هـ= 1070م). [5]

ثم قسم المغرب على بنيه وأمراء قومه وذويه. [6] أما سبتة فقد استعان يوسف بن تاشفين بفتحها سنة (476هـ= 1083م) بالمعتمد بن عباد، الذي أعطاه سفينة حربية كبيرة كان قد صنعها. [7]

وكان أبو بكر قد عاد من الصحراء بعد إصلاحه الأمور، وأخذه بثأر قومه، ومكث خارج المدينة بأغمات، ولما رأى تمسك يوسف بن تاشفين بالملك قرر إعطائه الحكم في

---

(1) ملوية اسم عقبة قرب نهاوند سميت بذلك لأن المسلمين وجدوا طريقها يدور بصخرة فسموها بذلك. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص195.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 88-89؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص23.

(3) الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص27.

(4) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص184-185.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 91.

(6) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج6 ص185-186.

(7) مجهول: مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، ط1، 1425هـ= 2005م، ص150.

المغرب، وعاد إلى الصحراء، إلى أن قتل على يد بدو الصحراء في المعارك بينهم. (1)

فقد خرج الأمير أبو بكر بن عمر على رأس جيش من المرابطين، وكان أخيه الأمير أبو يحيى على رأس جيش آخر، وكانت وجهتهما مملكة غانة، فتقدمت الجيوش المرابطية في أراضي امبراطورية غانة، تستولى على مدنها الواحدة تلو الأخرى، وكان الأمير أبو بكر يخير أهل البلد المفتوحة، إما اعتناق الإسلام وإما الحرب، ولما ضاق الحصار على العاصمة غانة، سقطت في أيدي المرابطين سنة (469هـ = 1076م)، وقد قتل عدد كبير من سكانها، واعتنق بقية السكان الإسلام. (2)

ويشير صاحب الحلل الموشية أن أهل غانة أسلموا سنة (469هـ = 1076م) .، وترك الأمير أبو بكر أخاه عندهم بعد فتح غانة. (3)

ثم أرسل يوسف بن تاشفين قائده مزدلى بن تيلكان بن محمد بن وركوت في عساكر لمتونة لمحاربة ملوك تلمسان سنة (472هـ= 1079م)، فقتلوا أميرها، ثم رجعوا من غزوتهم، ثم افتتح يوسف بن تاشفين سنة (473هـ= 1080م) مليلة (4) وسائر بلاد الريف، ثم افتتح مدينة تلمسان، ونزل بعساكره، ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل وانشريس إلى الجزائر، ورجع إلى المغرب عائداً من مراكش سنة (475هـ= 1082م). (5)

وفي موجة اندفاع المرابطين في عهد يوسف بن تاشفين، وجهودهم في نشر الإسلام، في منتصف القرن السادس الهجري، اعتنق حكام الماندنجو الإسلام، وأخذوا يتوسعون، ويمدون نفوذهم إلى الجنوب، والجنوب الشرقي، وتكونت من هذه الأراضي فيما بعد إمبراطورية مالي. (6)

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص25-28.

(2) دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، ص112.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص17.

(4) مليلة بالفتح ثم الكسر وياء تحتها نقطتان ولام أخرى مدينة بالمغرب قريبة من سبتة على ساحل البحر. ياقوت، معجم البلدان، ج5 ص197.

(5) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص186؛ الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص29-30.

(6) دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، ص126-127.

المبحث الثاني

الجهاد لتحقيق وحدة الأندلس

حكم الأندلس قبل وصول المرابطين إليه مجموعة من الحكام سموا ملوك الطوائف فمنهم. [1]

أولاً: بنو جهور

اجتمع أهل قرطبة على تقليد أمرهم للشيخ أبي الحزم ابن جهور سنة (422هـ= 1030م) ، وكان لا يقطع أمراً بدون حكومة الجماعة، فلا يخاطب بكتاب إلا أن يكون باسم وزرائه، وتوفى أبو الحزم سنة (435هـ= 1043م) [2]، وولى بعده أبو الوليد محمد بن جهور، فسار على ما كان عليه والده[3]، وفي سنة (456هـ= 1063م)، حصل الصراع بين ولدي أبي الوليد عبد الرحمن وعبد الملك، فلجأ أبو الوليد إلى قسمة الرئاسة بينهما، فجعل إلى عبد الرحمن النظر في أمر الجباية، والإشراف على أهل الخدمة ومشاهدتهم في مكان مجتمعهم، والتوقيع في الصكوك السلطانية ، وجميع أبواب النفقات، كل ذلك تحت حكمه، وجعل إلى عبد الملك النظر في الجند، والإشراف على أعطياتهم، وجميع ما يخصهم؛ فرضيا منه بهذا التقسيم. [4] ثم طلب من الناس البيعة لابنه عبد الملك، وكان عبد الملك قد اعتدى على الناس واستحل أموالهم، فكثر الدعاء عليه من أهل قرطبة. [5] ونتيجة لسوء أفعاله فقد حاربه ابن ذي النون، الذي سارع إلى احتلال حصن المدور. [6] ثم أقدم على غزو قرطبة سنة (462هـ= 1069م)، ونجح ابن عباد في صد ابن ذي النون، وعندما انسحب من قرطبة، دخلا المدينة، وخلعا ابن جهور، وأقيمت الدعوة لابن عباد سنة (461هـ= 1068م)، وتم إخراج عبد الملك وأخيه عبد الرحمن

---

(1) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص438-439.

(2) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج2 ص603-604؛ الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ج1ص57؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص186-187.

(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص148.

(4) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج2 ص605-608.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص148-149؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص232-323.

(6) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص233

إلى إشبيلية، ونفى أبو الوليد إلى جزيرة سلطيش، في نهر إشبيلية، وكانت مدة حكم بني جهور 40 سنة [1]

ثانياً: بنو الأفطس ببطليوس

تجاور مملكة إشبيلية من الشمال مملكة بطليوس، وكانت تلك المملكة تشمل رقعة كبيرة تمتد من غرب مملكة طليطلة، غرباً حتى المحيط الأطلسي، وكانت عاصمتها بطليوس تتوسطها. [2]

وكان أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة المعروف بابن الأفطس من قبائل مكناسة، أصله من فحص البلوط، ونزل بقرطبة، ولما تفرق أهل الأندلس، سيطر على بطليوس وشنترين، ولشبونة، وحصل على ملك غرب الأندلس، إلى أن مات سنة (437هـ= 1045م)، وولى بعده ابنه المظفر. [3] وكانت بينه وبين جاره ابن عباد حروب. [4] شجعت الأعداء السيطرة على بلاد المسلمين، فقد وصل إلى علم ابن الأفطس أن العدو يريد احتلال مدينة شنترين، فحاول الدفاع عنها إلا أنه فشل وقبل الهدنة مع الروم، وفي عهده استولى العدو على مدينة قلمرية سنة (456هـ= 1063م). [5] وتوفى المظفر سنة (460هـ= 1067م)، فتولى بعده ابنه يحيى بطليوس، ولما رأي قوة الروم وضعف المسلمين، انتدب يحيى على القاضي أبو

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص148-151؛ ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج2 ص610.

(2) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج2 ص81؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص183.

(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص182-183؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص234-235.

(4) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18 ص594-595؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2ص184؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص442.

(5) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص238؛ بن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص184.

الوليد الباجي، لدعوة ملوك الطوائف إلى الوحدة ولم الشمل وقتال العدو. [1] واستمرت أيامه إلى أن تغلب عليه المرابطين، فضيق الأمير سير بن أبي بكر على بطليوس، فاتصل بألفونسو وأطمعه في المدينة، وأعطى مدينة شنترين للعدو، فضاقت به الرعية، واتصلوا بالمرابطين لدخول بطليوس. [2] وتم فتح بطليوس على يد سير بن أبي بكر سنة (487هـ= 1094م). [3] وقبض عليه وعلى بنيه، وأرسل مع ابنين له إلى إشبيلية، وقتل بعد أن بعد عن بطليوس هو وابنيه سنة (488هـ= 1095م). [4] وكان له ولد يسمى المنصور دخل في طاعة ألفونسو، وانتهى أمر بني الأفطس. [5] وفيه قال ابن عبدون قصيدته المشهورة:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر   فما البكاء على الأشباح والصور [6]

ثالثاً: بنو صمادح

ينسب بني صمادح إلى محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن صمادح بن سعد بن أشرس، وكان جدهم صاحب مدينة وشقة [7] وأعمالها، من الثغر الشرقي بالأندلس. [8] ولما أخرج منها في الفتنة سار إلى أبي الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن أبي عامر صاحب بلنسية وفي سنة (433هـ= 1041م) استبد معن بن صمادح ببلنسية، إلى أن مات سنة

---

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2 ص97-98؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص184.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص185-186.

(3) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2 ص102.

(4) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص 186.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص186.

(6) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص442.

(7) وشقة بفتح أوله وسكون ثانيه والقاف بليد بالأندلس ينسب إليها طائفة من أهل العلم. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص377.

(8) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص189؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2 ص103.

(443هـ= 1051م)، وخلفه ابنه أبا يحيى محمد بن معن. [1] وسمّى نفسه بمعز الدولة، وغيرها من الألقاب مثل المعتصم بالله والواثق بفضل الله. [2] وكانت مدة حكمه 41 سنة. [3]

ولما ملك يوسف بن تاشفين أرض الأندلس، وعزم على خلع رؤسائها، أمر الأمير يحيى بن واسنو بمحاصرة المرية، فلم يبق في يد المعتصم سوى قصبة المرية، وأوصى ابنه معز الدولة أن يتمسك بقصبة المرية، ولم يستطع معز الدولة الثبات أمام المرابطين، فكاتب المنصور بن الناصر صاحب قلعة حماد التابعة لبجاية [4]، وطلب منه السماح بدخول بلاده، فسمح له الوصول إلى مدينة تنس [5]، إلى أن مات بها وانتهت أيام بني صمادح. [6]

رابعاً: بنو ذي النون بطليطلة

لم تكن أهمية مملكة بني ذي النون في مساحتها الكبيرة، ولكن في موقعها الاستراتيجي على مشارف الأندلس، وكانت طليطلة تعرف منذ قيام الدولة الإسلامية بالثغر الأوسط نتيجة ملاصقتها للممالك الأسبانية النصرانية، واعتبارها حاجز للدولة الإسلامية، وجناحها الشمالي الأوسط، ضد اعتداءات النصارى[7]، واستولى إسماعيل بن ذي النون على ملك طليطلة سنة (427هـ= 1035م) [8] ، ولما ملك يحيى بن ذي النون طليطلة، كان له حروب مع ابن هود،

---

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2 ص103؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص190.

(2) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2ص103.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص168.

(4) بجاية بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياء وهاء مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص339.

(5) تنس بفتحتين والتخفيف والسين مهملة، وهي آخر إفريقية مما يلي المغرب. ياقوت: معجم البلدان، ج2 ص48-49.

(6) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص191-192؛ ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص168.

(7) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج2 ص94-95.

(8) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج2 ص97؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص277.

اضطر فيها لمحالفة النصارى ضد ابن هود، وكانت مدينة وادي الحجارة[1] بينه وبين ابن هود فطالب ابن هود فيها، وكان بعض أهلها يميل إلى ابن هود، وبعضهم الآخر يميل إلى ابن ذي النون، فبعث ابن هود عليها جيشاً أمر عليه ابنه أحمد، فقاتلها حتى استجاب له بعض أهلها وأدخلوه المدينة. [2] إلى أن وقع الخلاف بينه وبين ابن هود، فوجه إليه ابن هود جيشاً بقيادة ابنه أحمد، فقاتل مدينة وادي الحجارة، وخرج إليه المأمون لقتاله، غير أنه هزم وحوصر في مدينة طلبيرة[3]، فاستعان على ابن هود بالنصارى، واستطاع النصارى السيطرة على بعض بلاد المسلمين، وحصل ابن ذي النون على بعض أراضي ابن هود، ولم يستطع ابن هود فعل شيء سوى الاحتماء بحصونه، واستطاع السيطرة على بعض الحصون، وحالف ابن عباد لدرء خطر ابن هود، ، وفي السنة التي بعدها استعان ابن هود بالنصارى، واسترجع بعض حصونه، ثم استطاع ابن ذي النون بمساعدة النصارى فتح قلعة قلهرة[4] سنة (537هـ= 1142م)، واستمرت الفتنة بينهما من إلى سنة (538هـ= 1143م)، وانتهت بموت ابن هود، فتحرك ابن ذي النون لمحاربة ابن الأفطس، حيث جرت معارك كبيرة بينهما، ولما اشتد الصراع بين بني برزال أصحاب قرمونة[5] مع المعتضد بن عباد، خاطب رئيسهم يحيى بن ذي النون، للتدخل على أن يعطيه قرمونة، مقابل أن يأخذ جزءاً من أملاك ابن ذي النون، وفعلاً خرج إلى حصن المدور من أملاك ابن ذي النون، وأتى ابن ذي النون قرطبة برجاله، فطلب منه ابن عباد أن يتحدا على مدينة قرطبة، فوافق وأخلى له مدينة قرمونة، ولكن ابن عباد، وجه جيشاً إلى قرطبة التي خلعت حاكمها ابن جهور ودخلها المعتمد، ثم صارت إلى ابن ذي النون الذي مات بها سنة (467هـ= 1074م)، وولى بعده حفيده يحيى بن ذي النون. [6] إلى أن أعلن ابن عزيز كبير

---

(1) وادي الحجارة بلد بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص343.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص276-277.

(3) طلبيرة بفتح أوله وثانيه وكسر الباء الموحدة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة وراء مهملة، مدينة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص37-38.

(4) قلهرة بفتح أوله وثانيه وضم الهاء وتشديد الراء وفتحها مدينة من أعمال تطيلة في شرقي الأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص393.

(5) قرمونية بالفتح ثم السكون وضم الميم وسكون الواو ونون مكسورة وياء خفيفة وهاء كورة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص330.

(6) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص178؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص278-283؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص440.

بلنسية خلع الطاعة له، [1] وأراد قتله فهرب، وأصبحت طليطلة بلا حاكم، إلى أن دخلها المظفر بن الأفطس 472هـ= 1079م، ولما عاد عمر بن المظفر الذي خلف أباه إلى بلده. [2] راسل ألفونسو ملك قشتالة، الذي أعاده إلى طليطلة ولكن بشروط النصارى [3]، ثم تحالف هو وألفونسو لدخول بلنسية فدخلها واستقر بها إلى سنة (485هـ= 1092م)، وكان ابن عائشة قائد يوسف بن تاشفين ملك مرسية [4]، فدعاه أهل بلنسية إلى دخول مدينتهم، فأقبل إليها بجيوشه، وهرب ابن ذي النون من القصر ولكنه بقي داخل المدينة، إلى أن قبض عليه وتم قتله، فانتهت دولتهم بذلك. [5]

خامساً: بنو هود بسرقسطة

كانت بداية الدولة الهودية على يد سليمان بن محمد بن هود الجذامي، الذي استولى على لاردة [6] سنة (431هـ= 1039م)، ولما ثار أهل سرقسطة على حاكمها، استدعوا سليمان بن هود الذي دخل سرقسطة إلى أن مات فيها سنة (438هـ= 1046م). [7] ومن أشهر أمرائهم سليمان بن هود، ذاع صيته إلى أن توفى سنة (438هـ= 1046م)، وخلف خمسة أولاد، كان قسم عليهم أقطار مملكته، فولى أحمد مدينة سرقسطة، ويوسف مدينة لاردة، ومحمد قلعة أيوب، ولب وشقة، والمنذر تطيلة[8]، وانتصر أحمد عليهم إلى أن أخذ ما بأيديهم، وتلقب بالمقتدر بالله[9]، غير أن أخاه يوسف وكان الوالي على لاردة حمى مدينته منه، إلى أن خلع الناس

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص179.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص180؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص441.

(3) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص181.

(4) مرسية بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وياء مفتوحة خفيفة وهاء وهو من الذي قبله مدينة بالأندلس من أعمال تدمير. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص107.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص182.

(6) لاردة بالراء مكسورة والدال المهملة مدينة مشهورة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص7.

(7) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص221-222؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص170.

(8) تطيلة بالضم ثم الكسر وياء ساكنة ولام، مدينة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج2 ص33.

(9) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص171.

طاعته، وقاموا بدعوة يوسف فلم يبق لأحمد إلا سرقسطة، غير أن أحمد استعان بالروم على أخيه يوسف، فاستعاد كافة المناطق التي استولى عليها يوسف، ورجع يوسف إلى مدينة لاردة.[1] واتسع نفوذ أحمد بضم طرطوشة. [2]

وفي 456هـ= 1063م أغار النورمانديون على ببشتر [3]، ولم يتحرك أميرهم يوسف بن سليمان بن هود للدفاع عنهم، فلما رأى المقتدر أحمد بن هود ذلك، نادى بالجهاد في بلاد المسلمين، فقاتلوا مدينة ببشتر، وكان استعادة المدينة سنة (457هـ= 1064م). [4] ثم سيطر المقتدر على مدينة دانية 468هـ= 1075م وأضافها إلى بلاده، ثم مات سنة (475هـ= 1082م)، وولى بعده ابنه المؤتمن [5] ولم تطل مدته ومات سنة (478هـ = 1085م). [6] وولى بعده ابنه أبو جعفر أحمد الملقب بالمستعين بالله، واستشهد على مقربة من تطيلة 503هـ. [7] وفي سنة (489هـ= 1095م) قام العدو بمحاصرة وشقة، ثم سار العدو للاستيلاء على سرقسطة عاصمة المستعين، ولكن بلغهم أن يوسف بن تاشفين وجه جيشاً بقيادة على بن الحاج للدفاع عن سرقسطة، فانهزمت جموع الأعداء، والمستعين لم ينازعه يوسف بن تاشفين في ملكه، ليبقى حائلاً بينه وبين العدو، واستمر المستعين بن هود إلى سنة (501هـ= 1107م)، حيث جدد البيعة لنفسه وولده، وتحرك للجهاد، حيث دخل تطيلة، ثم رحل بعد أن صالحهم على مال يعطونه له، فلما رجع إلى بلاده تقابل معه النصارى، حتى هزم ابن هود وقتل في المعركة سنة (501هـ= 1107م). [8] وولى بعده ابنه عبد الملك بن أحمد، وشرط عليه أهل سرقسطة ألا يحالف الروم، فنقض ذلك، واستدعى أهل سرقسطة محمد بن الحاج اللمتوني والي بلنسية،

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص222-223.

(2) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص171.

(3) ببشتر بالضم ثم الفتح وسكون الشين المعجمة وفتح التاء فوقها نقطتان وراء، حصن منفرد بالامتناع بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص333.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص225-228؛ ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج5 ص181-190.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص171-172.

(6) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2 ص248؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص441.

(7) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2 ص248.

(8) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص172-174؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص441.

فلبى طلبهم سنة (503هـ= 1109م)، فمكنوه من البلد؛ ثم تغلب الروم على سرقسطة سنة (512هـ= 1118م)، ولما توفي بروطة سنة (524هـ= 1129م)، ولى بعده ابنه أحمد بن عبد الملك سيف الدولة المتنصر بالله ويلقب أيضاً بالمستعين بالله، فأقام بروطة إلى أن تخلى عنها لقائد الروم ألفونسو، وعوضه عنها بنصف مدينة طليطلة، وذلك سنة (534هـ= 1139م)، وسار معه فأنزله بها. [1]

سادساً: بنو عباد

يمكن أن يعتبر محمد بن إسماعيل بن عباد، مؤسس دولة بني عباد الحقيقي، [2] الذي توفى سنة (433هـ= 1041م). [3] وعظم ملكه، وأكثر من الغزو إلى أن مات سنة (433هـ= 1041م)، وتولى بعده ولده أبو عمر عباد بن محمد الملقب بالمعتضد. الذي تولى الحكم بعد والده سنة (433هـ= 1041م)، واستولى على غرب الأندلس، شلب، لبلة، وجبل العيون [4]، ولما اشتد العداء بينه وبين المظفر بن الأفطس، توسط ابن جهور لعقد الهدنة بينهما التي تمت سنة (443هـ= 1051م)، واستطاع الاستيلاء على الجزيرة الخضراء، واستولى على شذونة سنة (458هـ= 1065م)، وعلى رندة سنة (457هـ= 1064م)، وقرمونة سنة (459هـ= 1066م)، واستولى على الجزيرة الخضراء سنة (446هـ= 1054م) ولم يستولي على قرطبة لموته. [5] وتولى بعده ابنه محمد بن عباد الملقب بالمعتمد. [6] وقد سيطر على قرطبة، وضمها إلى إشبيلية،[7] إلى أن وقع الخلاف بينه وبين ملك قشتالة النصراني في الضريبة التي يؤديها إليه ملوك الأندلس، مما اضطره إلى طلب المساعدة من يوسف بن تاشفين، وتنازل له عن الجزيرة

---

(1) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2 ص248-250؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص175.

(2) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج2 ص39.

(3) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2 ص38.

(4) العيون مدينة بالأندلس من أعمال لبلة يقال لها جبل العيون. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص181.

(5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص155-156؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص214-215.

(6) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص157.

(7) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3 ص259.

الخضراء، وخاض موقعته المشهورة مع يوسف بن تاشفين، ولما عزم يوسف بن تاشفين على الجهاد، عزم على التخلص من ملوك الطوائف بخلعهم، حارب المعتمد ابن عباد في إشبيلية، وولده المأمون في قرطبة، وولده الراضي برندة، حيث أسر المعتمد، وقتل ابنه مالك، ثم نفى المعتمد إلى أغمات حيث مات بها سنة (488هـ= 1095م). (1)

وكان ملوك الطوائف قد ضعفوا، فقبلوا بدفع الأموال لملوك الروم، حتى أطمعوا النصارى باحتلال المدن نتيجة لضعفهم، وقد ورد إلى يوسف كتاب المعتمد بن عباد يعلمه بحال بلاد الأندلس، وتغلب العدو عليها، ويطلب منه العون، وكان ألفونسو ملك الروم حارب إشبيلية، وشذونة (2)، وحاصر مدينة سرقسطة، وسقطت مدينة قورية (3) وسرتة (4) في يد العدو، إلى عدة حصونٍ وقلاع، حتى ملك مدينة طليطلة (5) من يد صاحبها القادر بن ذي النون سنة (478هـ= 1085م) فكان ذلك من أقوى الأسباب المحركة للمسلمين. (6) ومع ذلك كان ملوك الطوائف يدفعون الجزية لألفونسو، فقد كان المعتمد بن عباد أمير إشبيلية وقرطبة يؤدي الجزية له، فلما انشغل المعتمد بغزو ابن صمادح صاحب المرية حتى تأخر الوقت الذي كان يدفع فيه الضريبة، غضب ألفونسو رغم أن المعتمد دفع له الضريبة بعد ذلك، وطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة، وطلب أن تلد امرأته في جامع قرطبة إذ كانت حاملاً، فأرسل ألفونسو سفارة على رأسها يهودي، فأغلظ لابن عباد القول، فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي، وأمر به فصلب بقرطبة. (7)

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج2 ص158-164.

(2) شذونة بفتح أوله وبعد الواو الساكنة نون، مدينة بالأندلس. ياقوت معجم البلدان، ج3 ص329.

(3) قورية بالضم ثم السكون والراء مكسورة وياء خفيفة مدينة من نواحي ماردة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص412.

(4) سرتة بضم أوله وكسر ثانيه وتاء وهاء اسم أعجمي، وهي مدينة بالأندلس، وأما المحدثون فإنهم يقولون سرتة بضم أوله وسكون ثانيه وتخفيف التاء. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص207.

(5) طليطلة بضم الطائين وفتح اللامين، مدينة كبيرة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، عدد الأجزاء5، دار الفكر، بيروت، ج4 ص39-40.

(6) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج3 ص248-250؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4 ص352، الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص32-33.

(7) المقري: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4 ص357-358.

ولما بلغ ألفونسو ما صنعه ابن عباد فأقسم ليغزونه بإشبيلية، ويحاصره في قصره، فأخرج جيشين جعل على أحدهما قائداً من قواده، وأمره أن يسير إلى باجة من غرب الأندلس، ويغير على تلك الجهات ثم يمر على لبلة إلى إشبيلية، ثم الذهاب إلى طريانة[1] للاجتماع مع جيشه الذي قاده بنفسه، وقد سلك الجيشان طريقين مختلفين حتى وصلوا قصر ابن عباد، وعندما أقام هناك طلب من ابن عباد مروحة من قصره ليبعد الذباب عنه، فرد عليه ابن عباد أنى سيأتي له بمروحة من جلود لمطية، فلم يخطر لألفونسو استعانة ابن عباد بيوسف بن تاشفين، ولما علم الناس باستنجاد المعتمد بيوسف فتح أمامهم الأمل، وأما ملوك طوائف الأندلس فقد حذروا ابن عباد من ذلك فلم يجبهم وقرر الاستعانة بالمرابطين. [2] وعندما علم مشايخ قرطبة بما جرى ورأوا قوة الفرنج، وضعف المسلمين، واستعانة بعض ملوكهم بالروم على بعض، اجتمعوا وساروا إلى القاضي عبد الله بن محمد بن أدهم، الذي سار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأبلغه الرسالة، وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من ألفونسو. [3] فلما وصل خطابه إلى يوسف، أرسل له يوسف بن تاشفين كتاباً يطلب منه الجزيرة الخضراء، فكتب إلى ابنه الراضي بتسليم الجزيرة الخضراء إلى يوسف بن تاشفين. [4] فأخذ يوسف بن تاشفين في التأهل للعبور إلى جزيرة الأندلس، وذلك في سنة (479هـ= 1086م)، وجمع الكثير من القواد وأعيان الجند ووجوه قبائل البربر، فبلغوا سبعة آلاف فارس، وكان عبوره من مدينة سبتة، فنزل بالجزيرة الخضراء، ورحل نحو إشبيلية، فالتقاه المعتمد فأقام بإشبيلية. [5] وكان يوسف كتب إلى أمراء الأندلس يستحثهم على الجهاد، فلحق به أبو محمد بن بلقين بن باديس بن حبوس أمير غرناطة، وأخوه تميم أمير مالقة، واعتذر بن صمادح صاحب المرية بسبب العدو الملاحق له، والمتطوعين للجهاد، وأمدهم المتوكل بن الأفطس بكل ما احتاجوه من عتاد ومؤن. [6] وجاءت الأخبار أن العدو مقبل عليهم يوم الأربعاء، فتجهز المسلمون، ثم أصبح يوم الخميس، فبعث ألفونسو إلى ابن عباد يقول غداً يوم الجمعة وهو عيدكم والأحد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو

---

(1) طريانة حاضرة من حواضر إشبيلية. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص34.

(2) المقري: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4 ص358-359.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8 ص445-446.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص48-50.

(5) الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج1 ص131-132؛ مجهول: الحلل الموشية، ص51-52.

(6) مجهول: الحلل الموشية، ص52-53.

يوم السبت، فعرف المعتمد أنها خدعة وأبلغ يوسف بذلك وطلب من الناس أن يكونوا على حذر لأن عدوهم يريد الفتك بهم يوم الجمعة، وفعلاً جاءت الطلائع تخبر ابن عباد بأن ألفونسو يتحرك للحرب، فبعث ابن عباد إلى يوسف يخبره، فوعده بالاقتراب منه، وأمر بعض قواده أن يدخل معسكر النصارى وهم منشغلون مع ابن عباد فيحرقه، وقاتل ابن عباد في ذلك اليوم قتالاً شديداً، ثم كان أول من أقبل على ابن عباد من قواد ابن تاشفين داود بن عائشة، ثم أقبل يوسف بعد ذلك، فلما أبصره ألفونسو وجه معظم جنوده إليه فبادر يوسف لقتالهم واضطرهم للرجوع، ثم تراجع ابن عباد إلى يوسف وقاتل معه، فهزم ألفونسو وفر من المعركة بجرح أصابه. (1) وأراد يوسف بن تاشفين تعقب ألفونسو، ولكن بلغه وفاة ولده أبي بكر الذي تركه مريضاً في سبتة، فرجع إلى العدوة ودخل مراكش. (2) وترك تحت إمرة المعتمد فرقة عسكرية عدتها 3آلاف مقاتل قائدهم سير بن أبي بكر اللمتوني. (3)

ولما رأي يوسف بن تاشفين من تخاذل ملوك الطوائف، أفتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والأندلس بخلعهم، وكذلك أرسلت له فتاوى أهل الشرق. (4) فتحرك يوسف بن تاشفين سنة (484هـ= 1091م) إلى سبتة لجهاد ملوك الطوائف، فأمر سير بن أبي بكر بمحاربة المعتمد في إشبيلية، ثم أمره بالتقدم لبلاد المتوكل بن الأفطس، لشبونة وشنترين وغيرها، وأرسل عبد الله بن الحاج في جيش ثان لمنازلة المأمون ابن المعتمد في قرطبة، وقدم أبو بكر بن واسينو على جيش ثالث، وأمره بمحاصرة المعتصم محمد بن معن بن صمادح بالمرية، وقدم جؤذز الحشمي على جيش رابع، وأمره بقتال يزيد الراضي ابن المعتمد برندة، وبقي هو بسبتة، منتظراً أخبارهم. (5)

سار القائد سير بن أبي بكر إلى إشبيلية، خاصة بعد لجوء المعتمد إلى طلب مساعدة ألفونسو السادس. (6) وسار سير بن أبي بكر إلى إشبيلية، وجد في قتال المعتمد، وأرسل قائده بطي إلى جيان فحاصرها حتى دخلها صلحاً، ثم ارتحل إلى قرطبة وبها المأمون بن المعتمد بن

---

(1) المقري: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4 ص365-367.

(2) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 98.

(3) حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص59.

(4) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص187.

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص72-73.

(6) حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص66.

عباد، ففتح حصونها ومعاقلها سنة (484هـ= 1091م)، ثم فتح بياسة[1]، وايدة[2]، وحصن البلاط، والمادون، والصخيرة[3]، وسقورة، ودخل سير قرمونة في السنة نفسها، ولما علم ابن عباد بذلك طلب مساعدة ألفونسو ووعده بإعطائه بعض الأراضي مقابل مساعدته، فأرسل له ألفونسو جيشاً كبيراً، فلما علم سير بذلك أرسل قائده إبراهيم بن إسحق اللمتوني لقتالهم، والتقى الجمعان بالقرب من حصن المدور[4]، حيث استطاع المرابطون هزيمة الروم. [5] وشدد سير حصاره على إشبيلية، ودافع المعتمد عنها أشد دفاع، وصمدت المدينة في وجه المرابطين. [6] ولم يزل الحصار والقتال مستمرين إلى سنة (484هـ= 1091م)، حتى دخل المرابطون البلد. [7] وقبض عليه، وأجبر على مخاطبة ولديه المعتد بالله والراضي بالله، وكانا بحصنين من حصون الأندلس وهما رندة [8] والآخر مارتلة، فنزلا عن الحصنين بعد عهود ومواثيق، فأما المعتمد بالله فقد قبض عليه، وأما الراضي بالله فقد قتل [9]، وبقي المعتمد محبوساً في أغمات إلى أن مات بها [10]، وأرسل سير القائد محمد بن عائشة إلى المرية. [11] وأرسل يوسف قائده يحيى بن واسيو لقتال ابن صمادح بالمرية. [12] حيث استطاع هزيمته وتوفي سنة (484هـ= 1091م)، ورحل أولاده إلى بجاية، وملك الملثمون المرية وما معها. [13] وأرسل عزوزا الحشمي لانتزاع ملك بني

---

(1) بياسة ياء مشددة مدينة كبيرة بالأندلس معدودة في كورة جيان. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص518.

(2) أبدة بالضم ثم الفتح والتشديد، اسم مدينة بالأندلس تعرف بأبدة العرب. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص64.

(3) الصخيرة تصغير الصخرة من الحجارة حصن بالأندلس من أعمال ماردة. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص395.

(4) المدور حصن حصين مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة لهم فيه عدة وقائع مشهورة. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص77.

(5) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 100-101.

(6) حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص67.

(7) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8 ص468-469.

(8) رندة بضم أوله وسكون ثانيه، معقل حصين بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص73.

(9) عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص203-204.

(10) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8 ص110.

(11) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 101.

(12) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج3 ص251.

(13) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8 ص112؛ ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص187.

الأفطس [1]، وتولى سير حصار بطليموس، إلى أن دخلها سنة (487هـ= 1094م)، وقبض على المتوكل، وأعدم هو وابناه الفضل والعباس. [2] وأرسل يوسف داود بن عائشة سنة (484هـ= 1091م) إلى مرسية، فدخلها قائده وأرسل إليه بالفتح، وأرسل القائد محمد بن عائشة إلى دانية سنة (485هـ= 1092م) فملكها، وملك شاطبة، وكان أميرها قد فر عنها، ثم دخل المرابطون شقورة. [3]

---

(1) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ج3 ص251.

(2) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج2 ص 102.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 101.

المبحث الثالث
الجهاد ضد الممالك النصرانية

أولاً: جهاد مملكة البرتغال

جهز المرابطون حملة إلى بلاد البرتغال سنة (504هـ= 1110م)، حيث سار الأمير سير بن أبي بكر والى إشبيلية، نحو يابرة فافتتحها، ثم سار إلى أشبونة التي دخلتها القوات المرابطية وسيطرت على ضاحيتها شنترة (1). (2) ثم سار إلى مدينة شنترين، فاستطاع فتحها بعد قتال عنيف مع حاميتها. (3)، ثم تحرك سير إلى قلمرية (4) عاصمة الإمارة، ولم تستطع القوات البرتغالية صد القوات المرابطية، وكان افتتاح المرابطين لتلك القواعد سنة (504هـ= 1110م) (5)، ثم افتتح سير في نفس العام مدينة بطليوس وبرتقال ويافورة ولشبونة. (6) ثم تحركت القوات الإسلامية بقيادة على بن يوسف سنة (511هـ= 1117م)، لغزو قلمرية، وحاولت قوات إشبيلية مساندته ففتحها وعاد إلى إشبيلية. (7) ولكنه لم يحتفظ بها، وذلك بسبب موقعها النائي، وصعوبة الاحتفاظ بها في منطقة تحيط بها النصارى. (8) ثم هزم الأمير تاشفين النصارى في فحص الضباب سنة (520هـ= 1126م)، وفتح ثلاثين حصناً من حصون المغرب، وكتب بالفتح إلى أبيه. (9) وفي سنة (526هـ= 1131م)، أغار الروم على يابرة، فسار إليها تاشفين بن على أمير

---

(1) شنترة بالفتح ثم السكون وتاء مثناة من فوقها وراء مهملة مدينة من أعمال لشبونة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص367.

(2) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج2 ص70.

(3) عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص228-232.

(4) قلمرية بضم أوله وثانيه وسكون الميم وكسر الراء وتخفيف الياء مدينة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص391.

(5) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج2 ص70.

(5) عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص70.

(6) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 105.

(7) مجهول: الحلل الموشية، ص86؛ ابن عذارى، المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص64.

(8) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج2 ص70. عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص81.

(9) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 107.

غرناطة، وأمير قرطبة، فالتقوا مع النصارى واستطاعوا هزيمتهم. [1] ولكن الروم استولوا على مدينة شنترين وماجة ومادرة وأشبونة وسائر المعاقل المجاورة لها من بلاد الإسلام بالأندلس 540هـ. [2]

ثانياً: جهاد مملكة برشلونة

تواصل الجهاد ضد مملكة برشلونة ففي سنة (495هـ= 1101م)، قام الأمير مزدلى بحملة على مملكة برشلونة، وتوغل في أراضيها، ودمر الكثير من القلاع والحصون، وقتل وأسر الكثير من أهلها، وأمر بتحويل النواقيس والصلبان إلى ثريات ركبت في جامع بلنسية. [3] وفي سنة (508هـ= 1114م)، استشهد القائد محمد بن الحاج أمير بلنسية في غزوة له مع الروم، واتصل خبر المعركة بأمير المسلمين فأسف لموت أبي عبد الله بن الحاج، وولى مكانه أبا بكر بن إبراهيم بن تافلوت، الذي خرج بجيش مرسية وبلنسية ثم زحف بهم إلى برشلونة فحاصرها عشرين يوماً، إلى أن أتته جيوش الروم من برشلونة وبلاد أربونة، فكانت بينهم حرب عظيمة مات فيها الكثير من الروم والمسلمين. [4]. وأمر على بن يوسف محمد بن ميمون سنة (511هـ= 1117م)، قائد الأسطول القيام بحملة إلى بلاد الروم، فافتتح مدينة قطرونية [5]، وامتنع جزء من النصارى بقصبتها، وحاول المسلمون فتحها، ولكن لم يتمكنوا من ذلك، ورجعوا للمرية. [6]

---

(1) الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص227-228.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص336.

(3) السامرائي، خليل: علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، دائرة الشئون الثقافية والنشر، العراق، 1405هـ= 1985م، ص235-236.

(4) الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج2 ص64-65؛ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 104-105؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص50.

(5) قطرونية بالضم ثم السكون والراء والواو ساكنة ونون مكسورة وياء مفتوحة بلد بالروم. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص373.

(6) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص66.

واصلت برشلونة محاولاتها للاستيلاء على طركونة [1]، وذلك بسبب ضعف وسائلها الدفاعية، وتخلى المستعين بن هود صاحب سرقسطة عن نجدتها، ولأن جيوش المرابطين لم تكن قد وصلت إليها. [2]

ثالثاً: جهاد المرابطين لمملكة أرغون

بدأت مملكة أرغون العدوان على المرابطين حيث تحرك الملك ألفونسو الأول سنة (503هـ= 1109م)، حتى سار بالقرب من سرقسطة التي دخلها المرابطون، فجهز محمد بن الحاج جيشاً لملاقاته، إلا أنه هزم واستشهد ابنه أبا يحيى، هو وعدد من المسلمين. [3] ونتيجة لذلك قام محمد بن عائشة والي مرسية بنجدة محمد بن الحاج أمير سرقسطة سنة (504هـ= 1110م)، وقد انتهت العملية بإنقاذ سرقسطة من يد ألفونسو الأول ملك أرغون وعودته لبلاده. [4] ثم كرر ألفونسو محاولته سنة (504هـ= 1110م)، فزحف نحو سرقسطة حتى أصبح قريباً منها، فخرج ابن الحاج لقتاله، يسانده محمد بن عائشة والي مرسية، فلما رأى ألفونسو ذلك عاد إلى بلاده. [5] وعندما ولى أبي بكر بن أبي يحيى إبراهيم سرقسطة سنة (510هـ= 1116م)، تحرك إلى حصن روطة[6].[7] ولما ولي عبد الله بن مزدلي بلنسية وسرقسطة سنة (511هـ= 1117م)، استمر في قتال ألفونسو حتى أخرجه من سرقسطة، ثم مات بعد ذلك بعام، وتركت سرقسطة بدون والى، فأتاها ألفونسو في جيوش لا تحصى وأقام بلاردة، ولما علم على بن يوسف بذلك أم الجيوش بالمسير إلى أخيه تميم الذي كان والياً على شرق الأندلس لينقذوا

---

(1) طركونة بفتح أوله وثانيه وتشديده وضم الكاف وبعد الواو الساكنة نون، بلدة بالأندلس وهي مدينة قديمة على شاطىء البحر. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص32.

(2) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج2 ص70.

(2) عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص168-169.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص54.

(4) السامرائي: علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، ص242.

(5) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص55.

(6) روطة بضم أوله وسكون ثانيه وطاء مهملة، حصن من أعمال سرقسطة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج3 ص96.

(7) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص61-62.

سرقسطة ولاردة، واتحد جيش قرطبة مع تميم، ودار بين الطرفين قتال عنيف، أجبر ألفونسو بعده على الخروج من لاردة، ورجع تميم إلى بلنسية، ولكن ألفونسو عاد لاحتلالها ، وفشل علي بن يوسف في إنقاذها. [1] وفي سنة (513هـ= 1119م) استولى ألفونسو المحارب على مدينة طركونة. [2] وفي نفس السنة استولى على أكثر مناطق شرق الأندلس، وملك قلعة أيوب، التي ليس في بلاد الشرق أمنع منها. [3] فلما بلغ علي بن يوسف استيلاء ألفونسو الأول على تلك المناطق، كتب إلى أخيه إبراهيم بن يوسف والى إشبيلية لتجهيز الجيش والمسير لقتال ملك أرغون، وكتب لقادة الأندلس لمساعدة أخيه، فجاءت القوات من قرطبة، غرناطة، مرسية، وعدد كبير من المتطوعة. [4] فسار إبراهيم بهذه القوات سنة (514هـ= 1120م) إلى قتندة، لأن ألفونسو اتجه إليها، فالتقى ألفونسو والمسلمون واقتتلوا أشد القتال وهزمهم ألفونسو هزيمة منكرة، وكثر القتل في المسلمين، وانصرف العسكر الإسلامي إلى بلنسية. [5] وفي سنة (519هـ= 1125م)، خرج ابن رذمير إلى بلاد المسلمين في الأندلس، ذلك أن النصارى بغرناطة وغيرها خاطبوه، لدخول غرناطة، فخرج في 4 آلاف فارس اختارهم من أرغونة، وخرج من سرقسطة، متجهاً إلى بلنسية، وبها جماعة من المرابطين، وأقام يقاتل بها مدة، حتى وصله عدد كبير من النصارى، وتوجه إلى جزيرة شقر حاربها أياماً، ولكنه لم يربح، ثم تحرك إلى دانية، وشن الغارات على شاطبة، ومرسية، ثم صعد إلى برشانة[6]، ثم تحرك إلى مدينة بسطة[7]، فلم ينتصر عليها، فتوجه إلى وادي آش[8]، إلا أنه لم يلبث أن عاد إلى بلاده بعد مقاومة المسلمين

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 105-106.

(2) أشباخ، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عنان، عدد الأجزاء2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1417= 1996م، ج1، ص152.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 106.

(4) عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص103؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج2 ص70.

(5) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج4 ص460-461؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص206.

(6) برشانة بالفتح وبعد الألف نون من قرى إشبيلية بالأندلس. الحموي: معجم البلدان، ج1 ص384.

(7) بسطة بالفتح مدينة بالأندلس من أعمال جيان. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص422.

(8) أش بالفتح والشين مخففة وربما مدت همزته، مدينة الأشات بالأندلس من كورة البيرة، وتعرف بوادي أش. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص198.

له، بعد سنة و3 أشهر، ولما ظهر للمسلمين غدر النصارى، لحق القاضي أبو الوليد بن رشد بالأمير على بن يوسف في مراكش، فبين له الأمر بالأندلس، واستدعاء النصارى للروم، وما في ذلك من نقض للعهد، فأفتى بإخراجهم، فأخذ بقوله، وأفتى بوضع السور حول مراكش. (1) واستمرت الحروب بين المسلمين والروم ففي سنة (523هـ= 1128م)، خرجت قوات لمتونة، والتقت بقوات ألفونسو بمقربة من جزيرة شقر، في منطقة تعرف بالقليعة، والتقى االروم والمسلمون، فهزم المسلمون. (2) وقد تشجع ألفونسو الأول لغزو المسلمين فغزا مدينة إفراغة (3) سنة (528هـ= 1133م)، وكان الأمير تاشفين بن علي بن يوسف بمدينة قرطبة أميراً على الأندلس لأبيه، فجهز جيوش قرطبة ومرسية وبلنسية لاردة، فاجتمعوا وحملوا الغذاء وساروا حتى أشرفوا على مدينة إفراغة، وكان ألفونسو قد احتقر جميع الواصلين من المسلمين، فلما تقابلوا مع المسلمين هزموهم، وقتل الكثير من الروم، وتوجه ألفونسو إلى سرقسطة فلما رأى ما قتل من أصحابه مات بعد عشرين يوما من الهزيمة. (4)

ومع انتصار المرابطين في أفراغة، وتمزيقهم للجيش الأرجوني، إلا أنهم لم يفكروا في الزحف على سرقسطة، ومحاولة استردادها، تماماً كما حصل بعد النصر في معركة الزلاقة، حيث لم يطارد يوسف بن تاشفين القشتاليين، ولكن يبدو أن المرابطين أخطئوا عسكرياً في الحالتين، وسيكون لذلك نتائج بعيدة المدى. (5) ثم حصلت فترة من الصلح بين يحيى بن عليّ بن غانية عامل بلنسية ومرسية وبين ملك أرغون الجديد من سنة (528هـ= 1133م) إلى سنة (530هـ= 1135م). (6) إلا أن تلك الهدنة انتهت بمهاجمة يحيى مدينة مكناسة وبعض الحصون التابعة لها، والتي كانت ضمن أملاك مملكة أرغون منذ سنة (527هـ= 1132م). (7)

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص97؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص69-72.

(2) الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص153-154.

(3) إفراغة بكسر الهمزة والغين معجمة مدينة بالأندلس من أعمال ماردة. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص227.

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج9 ص287؛ بن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص91.

(5) عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج2 ص126.

(6) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص91-92.

(7) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص95.

الفصل الخامس: التطوير الإداري والاقتصادي والعمراني عند حكام المرابطين

المبحث الأول: التطـــــور الإداري

المبحث الثاني: التطور الاقتصادي

المبحث الثالث: التطـــور العمراني

المبحث الأول
التطور الإداري

أولاً: ولاية العهد

تُعتبر ولاية العهد من أهم وأخطر المناصب التي وجدت في الدولة الإسلامية، ويبدو أن ظهور ذلك المنصب ارتبط بالأعباء التي ألقيت على الحكام، وعدم القدرة بمفردهم على إدارة شئون دولهم، نتيجة التوسع الذي شهدته الخلافة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، ومن ثم تنوع الأجناس والأعراق داخل هذه الدولة. وولي العهد في الإسلام هو الشخص الذي يعهد إليه بتولي الحكم بعد وفاة الحاكم للدولة.

بدأ نظام ولاية العهد في دولة المرابطين عندما أوشك عبد الله بن ياسين على الموت في حروبه مع برغواطة، فقد جمع شيوخ المرابطين، وأوصاهم بعدم الفرقة، وأن يكونوا إخوة في الله، وألا يتنافسوا على الرئاسة، وطلب منهم أن يقدموا عليهم من يختاروه ليقود جيوشهم، ويأخذ زكاتهم، فاتفق رأيهم على اختيار أبي بكر بن عمر اللمتوني، فقدمه عبد الله بن ياسين باتفاق شيوخ صنهاجة، واجتماعهم على ذلك، وتوفى عبد الله بن ياسين بعد ذلك بقليل. [1] وعندما تنازل الأمير أبي بكر عن الرئاسة ليوسف بن تاشفين، أحضر شيوخ لمتونة، وأعيان الدولة، وأمراء المصامدة، والكتاب والشهود، والخاصة والعامة، وأشهدهم على نفسه بالتخلي ليوسف عن الأمر. [2]

وكان يوسف بن تاشفين بعدما فتح معظم المغرب يدعى بالأمير، فلما وسعت مملكته، اختار له اسم أمير المسلمين وناصر الدين وأمر بأن يخطب له بذلك على المنابر. [3]

فأراد أن يختار ولي عهده، رأى في ابنه الأصغر علياً أحق بولاية العهد، ففي سنة (496هـ = 1102م)، ولى عهده للأمير أبي الحسن على، وكتب ولاية عهده الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور، وذلك لصفات رآها يوسف في علي لم يرها في أحد آخر من أبنائه، ولما لتلك

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص84.

(2) مجهول: الحلل الموشية، ص26.

(3) مجهول: م. ن، ص 29.

المهمة من تبعات خطيرة على المسلمين، ومنها أنه كريم الأخلاق، أكثر حرصاً على المعالي، وذلك بعد استشارة أهل الرأي، فرضوا لما رضيه. [1]

وكذلك لما عزم عليّ بن يوسف على تولية ابنه سير ولاية عهده، جمع الفقهاء والقضاة، وبني عمه، وأخويه تميماً وإبراهيم، فسلم الأمر لابنه سِيَر، وشهد الشهود بذلك، وكملت البيعة له، وأرسل بها إلى باقي الأقطار، والتزم الناس بقبولها، ونظر سير في أمور الجيش، والأحكام، والولايات، والعزل، ورد المظالم، وعندما توفي تكلم الناس في موته بأحاديث شنيعة. [2] فاجتمع المرابطون، ووقع اتفاقهم على أن يكون ولى العهد بعد أمير المسلمين على بن يوسف ولده تاشفين لزعامته وشجاعته وشهامته، ورجاحة عقله، ولما ظهر منه في الأندلس، من حرب العدو، فلما جمع الناس وعرض عليهم الأمر، فأجمعوا كلهم على تاشفين، فلم توسعه السياسة مخالفتهم. [3] ولكن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين قد رأى تعرض تاشفين للهزيمة على يد أعدائه، وعزم على خلعه، وتولية عهده إلى إسحاق ولده الأصغر، وتوفى سنة (537هـ= 1142م)، ولم يشهر موته إلا بعد ثلاثة أشهر من وفاته، وولى بعده ابنه. [4] أبو إسحق إبراهيم بن تاشفين ولاية العهد، وذلك سنة (538هـ = 1143م)، وكانت نهاية المرابطين في عهده. [5]

ثانياً: نائب الأمير

كانت الأندلس تقسم في عهد المرابطين إلى خمس ولايات هي إشبيلية، وغرناطة، وقرطبة، وبلنسية، ومرسية، وكانت سرقسطة هي الولاية السادسة قبل سقوطها في يد ألفونسو،

---

(1) مجهول: الحلل الموشية، ص 78-80.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص78-79؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص446.

(3) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص98؛ مجهول: الحلل الموشية، ص120؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص447؛ الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص267.

(4) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص99؛ مجهول: الحلل الموشية، ص120؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص447.

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص123.

وكان النائب يستقر غالباً في غرناطة أو قرطبة، وقد اتخذ المرابطون قرطبة مركزاً لحكومتهم في أول الأمر، وفيها أصدر يوسف بن تاشفين الأمر بولاية العهد إلى الأمير على، فلما توفى نقلت إلى غرناطة، حتى سنة (526هـ = 1131م)، فقد عين أمير المسلمين على بن يوسف ولده تاشفين والياً على قرطبة، وطلب منه أن يتخذ منها مقراً للحكومة المرابطية. (1)

أما في المغرب فيذكر ابن خلدون أن يوسف بن تاشفين قسم المغرب على بنيه وأمراء قومه وذويه. (2) فولى سير بن أبي بكر مكناسة وفزان (3)، ولبى عمر بن سليمان فاس، وداود بن عائشة سجلماسة ودرعة، وولده تميم أغمات ومراكش وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة (4).

كان نواب أمير المسلمين يمثلونه في سلطاته، فكانت سلطاتهم شبه مطلقة، فكانوا يعزلون الولاة أو يختارونهم حسب مصلحة الدولة، وكان لنائب أمير المسلمين القيادة العليا على جيوش المرابطين، فمن رسالة لعلى بن يوسف إلى ابنه أبو بكر وكان نائباً له في الأندلس يقول له فيها: " وقد رأينا أن نقدمك على جميع الجيوش بتلك الجزيرة عموماً يشمل من كان هناك منها، ومن وصل من هذه العدوة إليها، وخاطبنا عمالك بالسمع منك والطاعة لك، وأن يطابق كل واحد منهم رأيك، ويوافق عملك ". (5)

ثالثاً: ولاة الأقاليم

كان أمير المسلمين على بن يوسف من حسن التصرف واليقظة، حيث أنه كان يراقب سير الأمور في الولايات المختلفة، حتى لا يستبد أمير بولايته، أو يسيء معاملة الرعية، فكان إذا ولى أحد الولاة، أرسل له رسالة ليرسم له طريق معاملة الرعايا، ومنها تلك الرسالة التي كتبها

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص87؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج3 ص415.

(2) تاريخ ابن خلدون، ج6 ص185.

(3) فزان بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره نون ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب. ياقوت: معجم البلدان، ج4 ص260.

(4) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص91.

(5) مكي، محمود: وثائق تاريخية جديدة عن المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مج 7، 1، 2، 1378هـ= 1959م، ص169-170.

أمير المسلمين على بن يوسف من مراكش سنة (510هـ = 1116م)، إلى أبي محمد بن فاطمة يحضه فيها على إقامة العدل، وأن يطبق الحكم على القوي والضعيف، وأن يستجيب لدعوة المظلوم، وأن لا يسد في وجه المظلوم بابه، وأن يتواضع مع الرعية، وأن يعدل معها، وأن يولي عليها من يرفق بها ويعدل فيها، وأن يبعد عنها من يظلمها أو يؤذيها، ومن يثبت من عماله أنه قام بفرض أمور زائدة على الرعية، أو أنقص من أمورها شيئاً، أو بدل حكماً، أو أخذ لنفسه مالاً ظلماً، فليعزله عن عمله، وأن يعاقبه ، ويلزمه رد ما أخذ تعدياً إلى أهله، وأن يجعله عبرة للآخرين. (1)

وقد حرص على وحدة الرعية ويظهر ذلك من رسالة وجهها أمير المسلمين إلى أهل إشبيلية، من مراكش سنة (512هـ = 1118م)، بخط أبو القاسم بن الجد، يؤكد فيها أنه بلغه اختلاف أعيانهم وما بينهم من بغض وكراهية وحسد، وبلوغ حد الهجر والقطيعة بينهم، ويطلب من فقهائهم وعقلائهم، أن يسعوا في الإصلاح بين المتخاصمين، وأن يجدوا في كف أذى المفسدين، وأن يبذلوا الجهد في توحيد الآراء والقضاء على الاختلاف. (2)

وكذلك عاقب على بن يوسف ولاته الذين أخطئوا بعزلهم، فقد عزل وانور بن أبى بكر والي ميورقة من رجال لمتونة، عندما اختلف مع أهلها، وشكوه إلى علي بن يوسف فأنصفهم منه، وولى عليهم محمد بن على بن يحيى المعروف بابن غانية. (3)

ويذكر من مهام الوالي، تقوية الحصون، وتحصين الحدود، وإقامة البيوت، وضرب السهام، وإنشاء السواقي، وعمل التراس، ونسج الدروع، وصقل السيوف، وربط الخيل، وإقامة المساجد على الحدود، والجلوس للنظر في المظالم، وقراءة الرسائل، ورد الجواب، وكتب التوقيعات، وإكرام الفقهاء والطلبة. (4)

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص63-64؛ ابن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ص113.

(2) ابن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ص110.

(3) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ص165.

(4) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1 ص450.

رابعاً: نظام الوزارة

قال الطرطوشي: " أسعد الملوك من له وزير صدق، إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه. وأشرف منازل الآدميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة الوزير عون على الأمور وشريك في التدبير، وظهير على السياسة ومفزع عند النازلة. والوزير مع الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه. وفي الأمثال: نعم الظهير الوزير". (1) فالوزير هو الواسطة بين القاضي والسلطان، فباتفاق القاضي والوزير يكون صلاح الدولة، وصلاح الناس. (2)

وهكذا اجتمع في دولة على بن يوسف نوعان من الوزراء:

الأول: وزراء الحرب، وكانوا يختارون عادة من أقرباء الأمير، أو من قبائل لمتونة وصنهاجة عصب دولة المرابطين. والثاني: وزراء أدباء معظمهم من الأندلسيين. (3)

ومن المعروف أن الوزراء قبل على بن يوسف كانوا كتاباً يشرفون على ديوان الإنشاء، ولكن الأمر تغير في عهد على بن يوسف، فقد تعقد نظام الوزارة، وتعددت اختصاصات الوزراء، ولكثرة عدد الوزراء في الدولة، فقد كان لهم مجلساً يتولى رئاسته كبير الوزراء أو الوزير الأول. (4)

وكان حلقة اتصال بين الوزراء والأمير، ولقد كان الوزراء موضع احترام أمراء المسلمين، ومحل ثقتهم، ولهذا أطلقوا أيديهم في الشئون المالية والإدارية، وأدنوا منازلهم. (5)

ومن أشهر وزراء على بن يوسف:

1- مالك بن وهيب. (6) وفيه يقول بعض أعدائه:

---

(1) سراج الملوك، ص70.

(2) ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة، ص14-15.

(3) العبادي، أحمد: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، ط1، 1386هـ= 1967م، ص151.

(4) أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ج1، ص478.

(5) ابن عبدون: رسالة في القضاء والحسبة، ص204.

(6) عبد الواحد: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص185-186؛ البيذق، أبي بكر بن على الصنهاجي: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1390هـ= 1971م، ص27؛ مجهول: الحلل الموشية، ص101.

دولة لابــن تاشـــفين على   طهرت بالكمال من كل عيب

غير أن الشيطان دس إليها   من خبــاياه مــالك بن وهيب [1]

2- ينتان بن عمر الذي كان من أشهر الوزراء العسكريين حيث كان قائداً لفرقة الحشم في الجيش المرابطي. [2] وقد اتخذ على بن يوسف ينتيان بن عمر وزيراً له. [3]

3- إسحاق بن ينتان بن عمر الذي اتخذه أمير المسلمين على بن يوسف وزيراً في آخر مدته. [4] وكان لم يبلغ 18 من عمره، ولكنه كان ذكياً عاقلاً فاهماً، فأعجب به، وجعل له النظر في المظالم والشكاوى، فاتبع الناس في أمورهم وكافة شئونهم. [5]

---

(1) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج3 ص479.

(2) العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 154.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص84.

(4) مجهول: م. ن، ص84.

(5) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص101-102؛ العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص 154؛ عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج3 ص244.

المبحث الثاني

التطور الاقتصادي

أولاً: التجارة

مرت العديد من الطرق التجارية في دولة المرابطين، ومنها الطريق الساحلي، الذي يبدأ من تارودنت شرقي أغادير على نهر السوس، ويسير إلى نول، ثم يسير إلى جزيرة أوليل [1]. [2] أما الطريق الأوسط فيمتد من سلجماسة، ثم درعة إلى أوذغست [3] ثم النيجر، ويمر بأزكى. [4] أما الطريق الثالث فهو طريق الصحراء الذي يمتد من أرض السودان إلى جبل نفوسة [5] وطرابلس. [6]

ومن العوامل التي أدت إلى ازدهار التجارة الخارجية في عهد المرابطين نمو البحرية المرابطية، وظهورها في الصراع الدولي، حتى أصبحت تنافس جمهوريات إيطاليا، والنورمان، واستطاع المرابطون بعد استيلائهم على موانئ شرقي الأندلس وجزر ميورقة ومنورقة أن يبسطوا حمايتهم على الحوض الغربي من البحر المتوسط، وقام أسطولهم بدور في تأمين تجارة المغرب الذاهبة إلى الأندلس، أو الأسواق العالمية الأخرى، وذلك لقوة البحرية التي كانت تستطيع القضاء على القراصنة، فكانت تؤمن الطرق البحرية وتسهر على راحتها. [7] وأصبح في إمكان التجار أن يحملوا بضاعتهم من إقليم لآخر، لا يخشون ظلماً لأنه يدفع عن أرباحه ما يفرضه الدين من زكاة. فكان بإمكان هذه السياسة الحكيمة أن تخفف عن التجار وتشجعهم على ارتياد

---

(1) أوليل معدن الملح ببلاد المغرب. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص283.

(2) الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي الحسني (ت548هـ= 1154م): المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبع بريل، ليدن، 969هـ= 1562م، ص59.

(3) أوذغست بالفتح ثم السكون وفتح الذال المعجمة والغين المعجمة وسكون السين المهملة والتاء فوقها نقطتان، من بلاد المغرب. ياقوت: معجم البلدان، ج1ص277.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص225-226.

(5) نفوسة بالفتح ثم الضم والسكون وسين مهملة، جبال في المغرب بعد إفريقية. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص296.

(6) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص158.

(7) محمود: قيام دولة المرابطين، ص401.

الأسواق والمخاطرة، كما أن الاستقرار في البلاد، أدى إلى رفع المستوى المادي للشعب، مما جعلهم يقبلون على الشراء، وإذا كثر الشراء راجت التجارة فلا تتراكم في الأسواق. (1)

ويبدو أن التجارة في عهد المرابطين بلغت شأناً عظيماً، وتزايد إقبال أوروبا على تجارة المغرب، وليس أدل على ذلك من الثقة بالدينار المرابطي، فشاع استخدامه في المغرب والأندلس، وليس من شك إن إقبال الناس على نقد الدولة يؤشر لثقتهم بها، وارتفاع قيمة هذه العملة بسبب كثرة المعاملات والتداول، فلقد قيل أن الدينار المرابطي وصل القسطنطينية، وكاد أن يصبح عملة دولية، وبلغ نفس المنزلة ما بلغه الفلورين عملة فلورنسا فيما بعد. (2)

وقد كان المرابطين يفرضون الضرائب على القوافل التجارية المارة بأرضهم، وخاصة الذين يأتون بالذهب من السودان، وبذلك تمكنوا من إدارة بعض شئونهم. (3)

وكان الرخاء الذي ساد أيام المرابطين والموحدين من بعدهم، هو الدعامة التي ارتكزت عليها حضارة المسلمين بالأندلس في القرن 12، ومن الواضح أن هذه المرحلة بالذات، وخاصة بعد سنة (478هـ= 1086م) شهدت ازدياد التجارة بين ممتلكات المرابطين وسائر أوروبا اللاتينية في الغرب، ولم تنقطع التجارة رغم غارات الإيطاليين. وأن العملة التي سكت في قطلونية ومنبلييه، وهي العملة المعروفة باسم الدينار المنقوش لتدل على قيام تجارة نشطة بين تلك الجهات ومسلمي الأندلس وشمال أفريقية. وقد استحوذ تجار جنوة وبيزا، على قدر كبير من تلك التجارة خلال القرن 12. (4)

ومن أهم المدن التجارية في عهد المرابطين أودغشت، سوقها كبيرة، والبيع فيها يتم عن طريق الذهب، وتستورد النحاس المصنوع، والثياب المصبوغة، العسل من بلاد السودان، وليس عندهم فضة، القمح والثمر والزبيب من بلاد الإسلام، ويوجد عندهم القمح وكذلك الثمر والزبيب، وتصدر العنبر والذهب الخالص. (5) وأغمات أهلها تجار أغنياء، يدخلون السودان

---

(1) محمود: قيام دولة المرابطين، ص403.

(2) محمود: قيام دولة المرابطين، ص403.

(3) ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت380هـ= 990م): صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1412هـ= 1992م، ص99.

(4) لويس، أرشيبالد: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ترجمة أحمد عيسى، محمد غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1379هـ= 1960م، ص 387.

(5) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص158-159.

بأعداد من الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسية والصوف والعمائم والمآزر والزجاج والأصداف والأحجار والعطر وآلات الحديد المصنوع، ولم يكن في دولة الملثمين أحد أكثر منهم أموالاً. (1) وسجلماسة قصدها التجار من كل أنحاء العالم وكانت تجارتها تحمل إلى الشرق عن طريق موانئ المغرب، أو عبر الطريق البري المؤدي إلى أفريقيا. (2)

وقد ساعد على احتلالها تلك المكانة التجارية الهامة، أنها كانت نهاية طريق غالبية القوافل التجارية إلى ذهب بلاد السنغال. (3) ويزرع أهلها القطن والكمون والحناء، ويصدر منها إلى باقي بلاد المغرب. (4)

وتاردونت كانت من أهم المحطات التجارية الواقعة على الطريق الساحلي ما بين تارودنت إلى مدينة نول لمطة إلى جزيرة أوليل على المحيط الأطلسي، وكانت تستقبل القوافل التجارية من الجنوب، وتقوم بتزويد القوافل التجارية بكل ما تحتاج إليه. (5) والمرية من المدن التجارية الهامة، حيث كان التجار يقصدونها من الإسكندرية والشام، ولم يكن أغنى من أهلها، ولا أقدر منهم على التجارة، وأيضاً اشتغلت بالسياحة وكان عدد فنادقها 970 فندقاً. (6) وإشبيلية يزرع بها القطن فيعم بلاد الأندلس، ويتجهز به التجار إلى إفريقية وسجلماسة، وكذلك العصفر وقصب السكر. (7)

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 232؛ الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص66-67.

(2) محمود: قيام دولة المرابطين، ص400.

(3) لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ص 386-387.

(4) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص225-226.

(5) مؤلف مجهول (ت ق 6هـ): الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد عبد الحميد، الإسكندرية، 1377هـ= 1958م، ص212.

(6) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص 538؛ الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص197؛ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 227؛ ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص119.

(7) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص21.

ثانياً: الصناعة

ومن أهم المدن الصناعية عند المرابطين المرية وجدت بها العديد من الصناعات في زمن الملثمين، فقد كان بها من طرز الحرير 800 طراز، ويعمل بها الوشي [1] والديباج فيجاد عمله وكانت أولاً تعمل بقرطبة، ثم غلبت عليها المرية، فلم يثقف في الأندلس من يجيد عمل الديباج [2] إجادة أهل المرية ويصنع بها النحاس والحديد، إلى سائر الصناعات. [3] وكان بها دار الصناعة. [4] وإشبيلية تشتهر بصناعة الزيت، وهو من أطيب الزيوت، ومن هناك يصدر إلى كافة بقاع الأرض. [5] ومدينة نول صنع فيها الدروق اللمطية، وبها يقاتل أهل المغرب لخفة حملها وحصانتها، وبهذه المدينة أشخاص يصنعون السروج واللجم والأقتاب المعدة لخدمة الإبل، وتباع فيها الأكسية. [6] ومرسية اختصت بصناعة الوشي المذهب، والأسرة المرصعة والحصر الفتانة الصنعة، وآلات الذهب والحديد من السكاكين والمقصات المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندي، ومنها تجهز هذه الأصناف إلى بلاد إفريقية وغيرها، والزجاج الغريب العجيب، وفخار مذهب. [7] ومراكش وقد اشتهرت بالصناعة، مثل صناعة الدخان، والصابون، والذهب، والمغازل [8] وفاس اشتهرت بالعديد من الصناعات، ومنها صناعة الزجاج وخاصة الملون، وتسبيك الحديد والنحاس. [9] وأغمات وتشتهر بصناعة النحاس الأحمر والملون، والأغطية، والصوف، والعمائم، والزجاج، والأصداف، والأحجار، والعطر، وآلات الحديد المصنوع. [10] وإشبيلية التي كانت مركزاً لصناعة الفولاذ. [11] كما اشتهرت في نفس الوقت

---

(1) الوشي أي النسج. ابن منظور: لسان العرب، عدد الأجزاء15، ج15 ص392.

(2) الديباج نوع من الثياب. ابن منظور: لسان العرب، ج2 ص262.

(3) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص197-198؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص538؛ ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص119.

(4) ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، ج2 ص193.

(5) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص21.

(6) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص59.

(7) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص201-202.

(8) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 237.

(9) الجزنائي، على: جنى الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ= 1991م، ص70.

(10) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص67.

(11) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص202.

بصناعة الزيت. (1) وبلاد السوس ويصنع بها الأكسية الرقيقة، والثياب الرفيعة، وتشتهر نسائهم بالصناعات. (2) وغرناطة يصنع فيها اللباس الذي يعرف بالملبد المختم ذو الألوان العجيبة. (3)

ثالثاً: الزراعة

كانت الأرض في الأندلس قبل قدوم المرابطين، في أيدي الجنود فكانوا يرفقون بالفلاحين، فكانت الأرض عامرة والأموال وافرة والجنود متوفرين، والكراع (4) والسلاح فوق ما يحتاجون إليه، إلى أن كان الأمر في آخر أيام المنصور بن أبي عامر، فأخذ الأراضي من الجنود، وعين على الأرض جباة يجبونها، فظلموا الرعية، وأثقلوا عليها وأخذوا أموالهم واستضعفوهم، فهربت الرعايا وتكاسلوا عن العمارة، فقلت الأموال التي تجبى إلى السلطان، وضعف الجنود، وقوي العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها. (5) فلما جاء المرابطون غيروا تلك السياسة فكانوا يعطون الفارس 5 دنانير في الشهر، مع نفقته وعلف فرسه، فمن ظهرت شجاعته، أكرموه بموضع، ينتفع بفوائده. (6) وكانت هذه السياسة ذات أثر كبير في الحياة الاقتصادية، فقد عاد الفلاحون إلى الأرض التي هجروها، وعملوا على العمل بجد لأن الضرائب ألغيت وشاع الأمن والاستقرار في البلاد، ولا يمكن الجزم هل طبق المرابطون هذه السياسة في المغرب كما طبقوها في الأندلس، وقد يكونوا طبقوا نفس النظام في المغرب، وأقطعوا جنود لمتونة بشكل خاص والملثمين بوجه عام أرض يزرعونها وينتفعون بزراعتها. (7) وقد تميزت العديد من مدن الأندلس بالزراعة نتيجة الاختلاف في مناخ الأندلس، وسقوط الأمطار عليها. (8) وقد ساعد اتساع دولة المرابطين بما تحويه من بيئات جغرافية متباينة، من بيئة صحراوية، وجبلية، وسهلية، على تنوع المنتجات الزراعية، كما كان للدولة دور كبير في

---

(1) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص178.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 227.

(3) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص201.

(4) كراع الأرض ناحيتها وأكارع الأرض أطرافها القاصية. ابن منظور: لسان العرب، ج8 ص306.

(5) الطرطوشي: سراج الملوك، ص133.

(6) مجهول: الحلل الموشية، ص82.

(7) محمود: قيام دولة المرابطين، ص405-406.

(8) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص131.

دفع النهضة الزراعية، إذ عملت على توفير المياه عن طريق حفر الآبار، ومد القنوات، والمحافظة على الأمن. وكان الصناع يلقون من أمراء المرابطين وولاتهم الكثير من التشجيع والحماية، وخير دليل على ذلك ما ذكره الإدريسي عن قصة المهندس عبيد الله بن يونس الأندلسي الذي قدم إلى مراكش 470هـ فقد ذكر أن عبيد الله بن يونس جاء إلى مراكش أول بنائها وليس بها إلا بستان واحد لأبي الفضل مولى أمير المسلمين، فحفر فيه بئراً مربعة كبيرة، ثم حفر منها ساقية متصلة الحفر على وجه الأرض، وظل يحفر من أعلى إلى أسفل حتى وصل الماء إلى البستان، فاستحسن ذلك أمير المسلمين من فعل عبيد الله بن يونس، وأعطاه مالاً وأثواباً وأكرم مثواه مدة بقائه عنده. (1)

ومن أشهر المدن الزراعية على عهد المرابطين بلنسية، تشتهر بأنها ذات أشجار وأنهار، وتعرف بمدينة التراب، لخصوبة تربتها. (2) وإشبيلية اشتهرت بزراعة الزيتون والتين. (3) وكذلك بزراعة القطن فهو يكثر بأرضها فيعم بلاد الأندلس، ويتجهز به التجار إلى إفريقية وسجلماسة وما، وكذلك العصفر بها يفضل عصفر الآفاق؛ وبها قصب السكر. (4) ومربيطر (5) هي كثيرة الزيتون والشجر والأعناب وأصناف الثمار. (6) ومدينة مرسية ودانية تشتهر بالكروم والتين. (7) ومدينة سجلماسة ويزرع أهلها أنواع كثيرة من النخل، ومنها الرطب المسمى بالبرنى، والقطن والكمون والحناء، ويصدر منها إلى باقي بلاد المغرب. (8) وتارودنت يستخرج منها السكر، (9) وفيها أنواع مختلفة من الفواكه كالجوز والتين والعنب (10) والرمان والمشمش والتفاح،

---

(1) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص68.

(2) ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص490.

(3) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج1 ص159.

(4) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص21.

(5) مربيطر بالضم ثم السكون وباء موحدة مفتوحة وياء مثناة من تحت ساكنة وطاء مفتوحة وراء مدينة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص99.

(6) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص181.

(7) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص192، 195.

(8) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص225-226.

(9) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص62.

(10) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 227.

وهي بلاد تشتهر بالحنطة والشعير والأرز وبأسعار رخيصة. [1] ودرعة ويزرع فيها الحناء والكمون، ونبات الحناء يكبر حتى يصبح مثل الشجر، ويؤخذ منه البذر ويصدر إلى كل بقاع المغرب، ولا يؤخذ بذر الحناء إلا من هذا الإقليم، ونبات النيلج ليس طيباً في درعة، ولكنه يصدر إلى بلاد المغرب لرخص ثمنه، وربما يخلط بالنيلج الطيب ويباع منه. [2]

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 227-228.

(2) الإدريسي: م. ن، ص 227.

المبحث الثالث

التطور العمراني

حرصت كل الدول الإسلامية على ترك بصمات معمارية تميزها عن غيرها من الدول، وتخلدها عبر التاريخ، ومن تلك الدول دولة المرابطين التي حكمت المغرب والأندلس، فقد شهد عصر المرابطين نهضة عمرانية واسعة، على يد الحكام الذين حاولوا أن يخلطوا الفنون المعمارية في الأندلس مع المغرب، وقد ظهرت روائع الفن المغربي الأندلسي في عصر المرابطين في الأبنية الدينية، والمنشآت المدنية، والتحصينات العسكرية، وسنعرض فيما يلي لبعض تلك المنشآت التي حرص حكام المرابطين على إنشائها ومنها:

أولاً: المنشآت الدينية

حرصت الدول الإسلامية على تشييد العديد من المنشآت الدينية، ونذكر في هذا المجال بعض المنشآت الدينية التي حرص حكام المرابطين على إنشائها في المغرب والأندلس ومنها:

1- الجوامع

ومنها جامع القرويين الذي وسع عندما لم يعد جامع القرويين في فاس يتسع للمصلين، فكانوا يصلون في الأسواق والطرق والشوارع المحيطة بالجامع، وكانوا يتعرضون لحرارة الشمس الشديدة، فاجتمع الفقهاء والأشياخ، وخاطبوا قاضي القضاة، فاستأذن أمير المسلمين على بن يوسف في زيادة المسجد، فأذن له بالبدء فيها سنة (528هـ= 1133م) وتمت سنة (538هـ= 1143م). وقد قام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن صخر الخولاني بفرش صحن المسجد من ماله الخاص، وعندما تولى القاضي أبو عبد الله محمد بن داود قضاء فاس، أدخل بعض الزيادة إلى صحن المسجد، وعمل له مظللاً من شقف الكتان، تنشر عليه كل يوم جمعة، من أيام الصيف، لتحجب الشمس عن المصلين. (1) أما المنبر فكان يخطب عليه إلى أيام عليّ بن يوسف بن تاشفين، ثم ترك وصنع منبر آخر، وكان له غشاءان أحدهما من جلد الماعز، والثاني من كتان، يزالان عنه يوم الجمعة، وذلك سنة (538هـ= 1143م). (2) كذلك أسس

---

(1) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص33، 36.

(2) الجزنائي: جنى الآس في بناء مدينة فاس، ص55-56.

يوسف بن تاشفين عدداً من المساجد في جزائر بني مزغنة وفي ندرومة وكذلك في تاكرارت بتلمسان [1]. [2] وجامع تلمسان بناه على بن يوسف، وهو بناء مستطيل الشكل طوله من الشمال إلى الجنوب 55متراً، وعرضه من الشرق إلى الغرب 50متراً. وتاريخ بناء هذا الجامع مسجل في كتابة منسوخة تدور بقاعدة وتشير إلى الانتهاء من بنائه سنة (530هـ= 1135م)، ومر بناء جامع تلمسان بثلاث مراحل، الأولى عند بنائه على يد يوسف بن تاشفين سنة (475هـ= 1082م)، والثانية سنة (530هـ= 1135م) عندما زينه على بن يوسف بالزخارف الرائعة التي يزدان بها. [3] وبني المسجد الجامع بالجزائر، فقد أقيم في عهد يوسف بن تاشفين. [4] أما جامع سبتة فقد أمر يوسف بن تاشفين ببناء الجامع في مدينة سبتة (484هـ = 1091م)، والزيادة فيه، فتمت الزيادة فيه، وتم بناء البلاط الأعظم منه، وأمر ببناء سور الميناء السفلي. [5] أما جامع مراكش فقد بناه أميرها يوسف بن تاشفين فلما تغلب عليها الموحدون وصار الملك لهم، تركوا ذلك الجامع مغلق الأبواب لا يرون الصلاة فيه، وصنعوا لأنفسهم مسجداً جامعاً يصلون فيه. [6]

2- القباب:

ومن القباب قبة البروديين بمراكش تمثل أروع ما أنتجه الفن المرابطي، وترجع إلى عصر على بن يوسف، وتقع في وسط المدينة بالقرب من الجامع الذي أنشأه على بن يوسف، وتكون جزءاً من ملحقات جامع على بن يوسف، ولعلها شيدت ما بين سنتي (514-525هـ = 1120-1130م)، وربما قصد بها أن تكون مدفناً لإحدى الشخصيات الكبيرة، ثم تحولت إلى مكان للوضوء. [7] وقبة دار الوضوء التي بنيت في مسجد عليّ بن يوسف وهي مربعة

---

(1) تلمسان بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة وبعضهم يقول تنمسان بالنون عوض اللام بالمغرب، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان إحداهما قديمة والأخرى حديثة. ياقوت: معجم البلدان، ج2 ص44.

(2) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج7 ص46؛ سالم، السيد: المغرب الكبير، عدد الأجزاء 3، دار النهضة العربية، بيروت، 1401هـ= 1981م، ج2 ص749.

(3) سالم: المغرب الكبير، ج2 ص749-750.

(4) سالم: م. ن، ج2 ص750-752.

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص72.

(6) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 234.

(7) سالم: المغرب الكبير، ج2 ص752؛ بالباس، توريس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة مصطفى غازي، القاهرة، 1390هـ= 1971م، ص46-47.

الشكل.[1] ومنبر مسجد الكتيبة يحدد تاريخ بنائه بالفترة الواقعة بين سنتي (534-537هـ= 1139-1142م)، وهي الفترة الممتدة ما بين ولاية تاشفين العهد وموت أبيه عليّ بن يوسف، وكان عليه نقشان مسح أحدهما الذي يشير إلى من بناه، وتاريخ الفراغ منه على يد الموحدين، ونقش آخر يشير أنه صنع في قرطبة. [2] ويمتاز هذا المنبر بما فيه من الزخرفة والحشوات، التي تختلف عن حشوات المنابر المرابطية الأخرى بأن معظمها مثلث الجوانب، فهو أول مثال لمنبر مطعم بالعاج، وتتجلى فيه أعمال النجارة الفنية والزخارف النباتية، وفي سقف هذا المنبر بقايا من حشوات خشبية ذات أشكال مختلفة تزدان بعناصر نباتية من نوع يعرف بالأرابسك. [3]

ثانياً: منشآت مدنية:

حرص المرابطون على إنشاء المنشآت المدنية التي استخدمت لخدمة الناس، وتسهيل أمور حياتهم، وانتقالهم ومنها:

1- مدينة مراكش

وقد كان السبب في بناء مدينة مراكش، أن الأمير أبا بكر بن عمر اللمتوني لما خرج من الصحراء باللمتونيين، واستوطنوا بأغمات، كثر الناس بها، وضاقت على أهلها، شكا شيوخها إلى الأمير أبي بكر بن عمر ما يلاقونه من العناء، إلى أن طلب منهم موضعاً لبناء مدينة جديدة. [4] وفي سنة (461هـ= 1068م)، وقع الصراع بين الشيوخ على موضع مدينة مراكش، إلى أن اجتمع شيوخ المصامدة وأراد بعضهم أن تكون على وادي تانسيفت، ولكن الأمير أبا بكر رفض ذلك، لأن الوادي لا يصلح لرعى أغنامهم ودوابهم، فمشى هو والشيوخ إلى فحص مراكش، وكان ذلك سنة (462هـ= 1069م)، وبدأ الناس في بناء الدور من غير أسوار، فبينما الأمير أبو بكر يساهم في بناء الدور. [5] فابتدئ بأساس مراكش وهو قصر الحجر، وشرع

---

(1) مورينو، جوميث: الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع والسيد سالم، القاهرة، 1387هـ= 1968م، ص346-347.

(2) مرزوق، محمد: الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، د. ت. ط، ص158-159.

(3) مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا، ص349-350.

(4) مجهول: الحلل الموشية، ص15.

(5) مجهول: الحلل الموشية، ص15-16.

الناس في بناء الدور دون سور، وفي ذلك اليوم كان ركوب الأمير أبي بكر بن عمر وأخوته وشيوخ المصامدة والبنائين وغيرهم، فابتدئ العمل بمشاركة الشيوخ وحسب عونهم، فأعانوا على البناء بالمال والرجال، فقام سور قصر الحجر في ثلاث أشهر. (1) وفي سنة (463هـ= 1070م)، بينما كان الأمير أبو بكر بن عمر يشارك في بناء السور مع البنائين أتاه رجل يخبره أن جدالة أغارت على إخوته وقتلوا الرجال وسلبوا الأموال، فقرر أبو بكر السفر ليأخذ بثأرهم، وطلب منهم أن يستخلف عليهم رجلاً، فأخبره يوسف أنه يريد أن يستخلفه عليهم فتم له ذلك. (2) وذكر ابن أبي زرع أن يوسف هو الذي اشترى موضع مراكش، وبنى بها المسجد للصلاة، وقصبة صغيرة لخزن ماله وسلاحه، ولم يبن عليه سوراً، وكان عند الشروع بالمسجد يعمل في الطين بيده مع العمال تواضعاً وتورعاً، ويحدد ابن أبي زرع ما بناه يوسف فيذكر أنه بنى سور الخير شمالاً، ولم يكن بها ماء فحفر الناس بها آباراً فخرج لهم الماء، فاستوطنها الناس من غير سور. (3) ولقد أسفرت الحفريات الأثرية التي أجريت حديثاً في الموضع الذي كان يقوم عليه جامع الكتيبة القديم وما يليه عن كشف أسس هذه القصبة، وأثبتت الحفريات أنها كانت مقامة من قطع الحجر غير منتظمة القطع، ولكنها مرصوصة ضمن صفوف منتظمة، أما الحجر المصقول فكان يستخدم في أركانها. وهذه الطريقة فيها تأثير واضح لأفريقية. (4) ويمكن أن يستشف من النصوص أن البناء كان بدوره على مستويين، أحدهما رسمي ويعني به تخطيط المدينة الحكومية، أي قصر الأمير ومركز الإدارة، وما يلحق بها من مسجد، وما يحيط بها من أسوار، وهي التي تعرف باسم قصر الحجر لأنها بنيت بقطع الحجارة من جبل إيجليز القريب. والآخر شعبي، ونعني به مدينة العامة من الناس حيث كان بناء الدور في الخلاء دون تخطيط أو أسوار "كل على قدر جهده واستطاعته". (5) ويقال أن بناء مراكش كان للسيطرة على جبل درن لكثرة من يسكنه. (6) أو كما ذكر ابن خلدون أن يوسف بناها لنزول عسكره بها، والاحتماء

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص20.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص20.

(3) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص89.

(4) سالم: المغرب الكبير، ج2 ص762؛ عبد الحميد، سعد: المرابطون، منشأة المعارف، الإسكندرية، عدد الأجزاء4، ط1، 1415هـ= 1995م، ج4 ص244.

(5) عبد الحميد: المرابطون، ج4 ص242.

(6) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص209.

بقبائل المصامدة فلم يكن في قبائل المغرب أشد منهم ولا أكثر جمعاً. (1) وكانت مراكش من أكبر مدن المغرب لأنها كانت دار إمارة لمتونة، وكان بها أعداد قصور لكثير من الأمراء والقواد وخدام الدولة، وشوارعها واسعة، وأسواقها مختلفة، وسلعها نافقة. (2) واهتم المرابطون بتسهيل حياة الناس في المدن وخاصة مدينة مراكش العاصمة، فوفروا المياه اللازمة للشرب والدواب، فحفروا الآبار، وأنشئوا الصهاريج الكبيرة، وعملوا السقايات، فضلاً عن استغلال العيون، وشقوا الطرق وعبدوها، وبنوا القصور للأمراء وكبار رجال الدولة. (3) ولم تأخذ عاصمة المرابطين مظهرها الحضري إلا في وقت متأخر سنة (526هـ= 1131م). (4) ورأى على بن يوسف أن يقيها غزو الموحدين فحصنها بالأسوار، وشيد قلعة مع قصر ومسجد، وظلت قصبة أبيه البناء الوحيد بالمدينة المصنوع من الحجر، لذلك سميت بدار الحجر أو قصبة الحجر. وسرعان ما اتسعت المدينة حول الحصن، واستحقت أن تسمى بالعاصمة في عهد على بن يوسف لزيادة مساحتها وكثرة سكانها. (5) وقد ساهم تأسيس مدينة مراكش في دعم نفوذ المرابطين، وأوجد مركز انطلاق لهم إلى بلاد المغرب العربي والمغرب الأوسط، فأخضعوا الكثير من القبائل، وأصبحت مراكش عاصمة لقطرين، هما المغرب والأندلس، بعد أن خاض يوسف بن تاشفين معركة الزلاقة. (6) وهكذا بسبب تميز الموقع على المستوى الاقتصادي والاستراتيجي وهما من أهم شروط بناء المدن الجديدة، في ذلك الزمان، تحول مكان مراكش من معسكر بدوي إلى قصبة محلية، قبل أن يأخذ شكل العاصمة الإمبراطورية على عهد المرابطين، لكي تبقى بعد ذلك عاصمة الجنوب المراكشي، والتي ما زالت بلاد المغرب تعرف باسمها مراكش المدينة والدولة حتى اليوم. (7)

---

(1) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6 ص184.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 233-234.

(3) محمد، سوداي: دراسات في تاريخ المغرب العربي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة البصرة، 1409هـ= 1989م، ص262.

(4) بروفسنال، ليفى: الإسلام في المغرب والأندلس، تحقيق السيد سالم، محمد حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، 1410هـ= 1990م، ص244.

(5) بروفسنال: الإسلام في المغرب والأندلس، ص244.

(6) محمد: دراسات في تاريخ المغرب العربي، ص253.

(7) عبد الحميد: المرابطون، ص242.

2- القنطرة

بنى عليّ بن يوسف قنطرة عظيمة **على نهر تانسيفت** الذي يبعد ثلاثة أميال من مراكش، متقنة البناء بعد أن جلب إلى عملها صناع الأندلس وجملة من أهل المعرفة بالبناء، فشيدوها وأتقنوها حتى كملت، ثم لم تلبث بعد أعوام يسيرة حتى أتى عليها السيل فحتمل أكثرها، وهدمها ورمى بها إلى البحر. [1] ومنها قطع الحجر الذي بني منه قصر أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين وهو المعروف بدار الحجر. [2]

3- القصر

وقصر منتقوط، في مرسية، الذي بنى في عهد على بن يوسف، وأهم ما يمتاز به التناسق التام في مخارج سوره ومداخله، وفي توزيع غرفه. [3]

ثالثاً: العمارة الحربية:

1- الأسوار

وقد حرص المرابطون على حماية مدنهم من الخارج، فقاموا بتشييد الكثير من الأسوار ومنها:

سور مراكش فقد ذكر صاحب الاستبصار أن الذي قام بتسوير مراكش على بن يوسف بن تاشفين سنة (514هـ= 1120م). [4] ويذكر صاحب الحلل الموشية أنه في سنة (520هـ= 1126م)، بدأ أمير المسلمين عليّ بن يوسف في تسوير مراكش، وبناء الجامع والمنار، وجمع

---

(1) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 234-235؛ الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، ص127؛ ياقوت: معجم البلدان، ج5 ص119.

(2) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 233.

(3) سالم، السيد: المساجد والقصور بالأندلس، سلسلة اقرأ، عدد 191، 1377هـ= 1958م، ص105؛ سالم، السيد: العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر، مج 8، عدد1، 1397هـ= 1977م، ص101-102؛ مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا، ص334.

(4) الاستبصار في عجائب الأمصار، ص209.

الصناع لذلك. (1) وفي عصر عليّ بن يوسف زود مراكش بسور من الطابية على النظام الأندلسي، وتم التنقيب عن بابين من أبواب السور، هما باب العروس، وباب في الجهة الغربية يعتقد أنه باب المخزن. (2) ويذكر أنه أنفق في بناء السور وحده70 ألف دينار، وكان الذي أشار بتسوير مراكش القاضي أبو الوليد بن رشد، لما ظهر أمر المهدي بن تومرت، وطلب من الفقهاء أن يفتوا في بناء السور، فأفتوا بذلك للتحصين على الساكنين بمراكش. (3) أما في الأندلس فقد ابتكر المرابطون نظاماً جديداً في تخطيط الأسوار في الأندلس، فعمدوا إلى الإكثار من الزوايا الداخلية والخارجية بالسور بحيث يتخذ شكل خطوط متعرجة متكسرة، بحيث يستطيع أعدائهم التقدم داخل الزوايا ثم يندفعون عليهم من أعلى السور فيفتكون بهم، ويتألف السور من طريق يسير عليه المحاربون، وشرفات لقذف السهام، ودروات يجتمعون خلفها، تتخللها فتحات تساعد المحارب على النظر لأسفل دون أن تصيبه أسهم الأعداء. (4) ومنها أسوار إشبيلية التي أمر عليّ بن يوسف ببناء أسوارها، فسارع أهلها ببناء أسوارها، دون اعتراض، ودون إسراف. (5) وربما بني في عهد على بن يوسف سور إستجة (6)، ومعظمه بنى بالطابية، وتقوم فيه أبراج مستطيلة قليلة البروز، وكانت تفتتح بها مداخل يحيط طرفي كل منها بابان متقابلان. (7) أما سور المرية فقد بناه رجل يدعى ابن العجمي، وقد ساعدته العامة في ذلك، بدفع الضرائب، فاستعان بالمختصين لبنائه. (8) وسور قرطبة بني في عصر على بن يوسف سور الشرقية إلى

---

(1) الحلل الموشية، ص97.

(2) سالم: المغرب الكبير، ج2 ص763.

(3) مجهول: الحلل الموشية، ص98.

(4) سالم: المساجد والقصور بالأندلس، ص135-136.

(5) الكتامي: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص207؛ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص74.

(6) إستجة بالكسر ثم السكون وكسر التاء فوقها نقطتان وجيم وهاء، مدينة بالأندلس. ياقوت: معجم البلدان، ج1 ص 174.

(7) بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ص36

(8) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص74.

الشمال الشرقي من قرطبة، ويمتاز بأبراجه المستطيلة الضخمة المتقاربة. [1] وقد تولى أهل قرطبة ترميم أسوارها، على ما اعتادوا عليه دائماً. [2]

2- الحصون

فقد ذكر البيذق أحد كتاب الموحدين، أن المجسمين ويقصد بهم المرابطين بنوا الحصون في مواضع أحاطت بها الجبال من كل جانب، لكي ينتصروا بها على الموحدين. [3]

ومن أبرز حصون المرابطين حصن تاسغيموت، وقد بني حصن تاسيغموت سنة (518هـ= 1125م) في عهد الأمير على بن يوسف. [4] وحصن آنسا، وحصن تافركمونت، غزاه البشير وحصن في ويركان، وفيه هزم المرابطون على يد الموحدين، والحصن الذي بآسكابو في جبل تينغرم أو تينلفيق. [5] وحصن متاع تاسنولت. [6] وحصن آصكا كمات، وحصن تارولولت يكد ميون، وحصن لجاغة، وحصن نفيس، وحصن هيلانة، وحصن تاكرارت، حصن آصرو، وحصن القلعة، وحصن تاسغمارت، وحصن الفلاج، وحصن كرناطا، وحصن تونكطايان، وحصن الولجة وغيرها. [7] وبنى تاشفين حصناً قرب وهران على شاطئ البحر، وحصنه واتخذه ملجأ [8] وقد بناه بمرسى الحصن لطارئ قد يحدث. [9]

3- القلاع

ومن القلاع التي أنشأها المرابطون للحماية قلعتا بني تاودا وآمرجو من القلاع المرابطية خصصتا لمراقبة سكان الجبال في منطقة الريف. أما قلعة بني تاودا فبنيت بقطع حجرية غير مرتبة القطع ولكنها مرتبطة شديدة الصلابة، نظمت هذه القطع في صفوف منتظمة، ولم يبق

---

(1) سالم، السيد: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، عدد الأجزاء2، بيروت، 1390هـ= 1971 م، ج2 ص30-31.

(2) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج4 ص74.

(3) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، ص90.

(4) البيذق: م. ن، ص91؛ سالم: المغرب الكبير، ج2 ص748.

(5) البيذق: م. ن، ص91.

(6) البيذق: م. ن، ص92.

(7) البيذق: م. ن، ص93.

(8) مجهول: الحلل الموشية، ص132.

(9) مجهول: م. ن، ص133.

منها إلا أجزاء يسرة، تشتمل على الأسوار، وفي وسطها آثار بناء لعله كان يخص القصبة. أما آمرجو فتقوم على مرتفع، وفي بنائها تتداخل التأثيرات المحلية مع التأثيرات الأندلسية، والتأثيرات المسيحية الأسبانية للعناصر المسيحية المرتزقة في جيش المرابطين، وتقع هذه القلعة على بعد 3 كيلومترات جنوب شرقي مراكش. (1) وقلعة منتقوط التي تشرف على بساتين مرسية وتسمى بالقصير، ترجع إلى عصر على بن يوسف، وتمثل المرحلة المتقدمة للفن الأندلسي في الثلث الأول من القرن 12م. (2)

---

(1) سالم: المغرب الكبير، ج2 ص765.

(2) مورينو: الفن الإسلامي في أسبانيا، ص333- 334.

الخاتمة ونتائج البحث

بعناية من الله وفضل منه فقد تم الانتهاء من هذه الرسالة، وقد توصلت من خلالها إلى عدد من النتائج التي أرجو من الله أن تكون ذا خير وفائدة، وكانت على النحو التالي:

- كانت تربية عبد الله بن ياسين لأتباعه رفيعة المستوى غرست في نفوسهم حب الشهادة، والتلذُّذ بمتاعب الجهاد والحرص على هداية النَّاس، واختار لأتباعه اسماً يدل على الرابطة السامية التي ربطت هذه الجموع التي كانت متناحرة وأصبحت متآخية متعاونة ألا وهي "المرابطون".
- أصبح فقهاء المغرب الأقصى والأحرار المتطلعون لتحكيم شرع الله في مدنهم يتصلون بالمرابطين، ويطلبون منهم مساعدتهم لإزالة الظلم الواقع عليهم من حكام زناتة، وبالفعل لبى المرابطون هذا النداء، وتحركت جيوشهم القوية لإزالة المظالم ونشر العدل، والقضاء على دولة برغواطة الملحدة وأصبحت جبهاتهم متعددة نحو فاس ومكناسة وطنجة، وحققوا انتصارات.
- استمرَّ الإمام ابن ياسين يقود معارك التوحيد للمغرب الأقصى من أجل إقامة دولة سنية، واستشهد في تلك المعارك بعد أن ترك خلفه رجالاً آمنوا بسمو دعوتهم.
- تولَّى قيادة المرابطين بعده الإمام أبو بكر بن عمر الذي تميز بزهده، وعبادته، وبساطته، وحبه للجهاد والاستشهاد، فوضع هذا القائد الخطوة الأولى لدولة المرابطين.
- تمسك أمراء المرابطين بعدة صفات منها الورع والتقوى، العدل مع الرعية، وتفقد أحوالها، والشجاعة، والشورى، والاهتمام بالعلم، والتواضع، والشورى، والزهد مما مكنهم من التمسك بأخلاق الخلفاء الراشدين والسير على نهجها، وأدى إلى محبة الشعوب واحترامها لهم.
- كان عصر المرابطين عصر اهتمام بالشعراء والأدباء وتشجيع الدولة لهم، مما ساعد على تألق الحياة الأدبية والعلمية.
- استطاع الأندلسيون أن يُثروا دولة المرابطين بالشعراء والأدباء، وأن يؤثِّروا في كثير من جوانبها المعمارية والفنية والثقافية.

- استطاع يوسف بن تاشفين أن يفتح مدن الأندلس، وأن يضم الممالك إلى دولة المرابطين، وأسر بعض ملوك الأندلس الذين ثبت تعاونهم مع النصارى، ووضعهم في المغرب إلى أن توفاهم الله، وبذلك قضى على ملوك الطوائف.
- يُعتبر ضم الأندلس إلى دولة المرابطين من أعظم أعمال الأمير يوسف بن تاشفين الجهادية.
- أثبت أمراء المرابطين تمسكهم بمبادئ الإسلام الصحيح من حيث السعي لإقامة وحدة إسلامية بين المغرب والأندلس، وجهاد الأمم الكافرة، وجهاد أعداء الله النصارى.
- كان عصر المرابطين عصر ازدهار في اقتصاد المغرب والأندلس، فقد أوضحت الرخاء التي تمتعت به بعض المدن التجارية مثل المرية ومراكش.
- أوضحت المكانة التي كان يتمتع بها القضاة في هذا العصر، مشيرة إلى اختصاصاتهم، وأثبت أن تعيين القضاة أو عزلهم كان يصدر بمرسوم عن أمير المسلمين.

التوصيات

يمكن للباحثة من خلال دراستها لموضوع جوانب الرشد عند حكام المرابطين في المغرب والأندلس أن تؤكد بأن هناك موضوعات جديرة بالبحث، ربما تكون المكتبة العربية بحاجة ماسة لها من خلال الرسائل العلمية، ومن هذه الموضوعات:

1- دراسة آثار الضعف الأخلاقي والروحي في نهاية عصر المرابطين على انهيار الدولة المرابطية.
2- دراسة العلاقة بين الخلافة العباسية في بغداد ودولة المرابطين في المغرب والأندلس.
3- دراسة الترف في عصر ملوك الطوائف.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر العربية

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت668هـ= 1270م):

1- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار الحياة بيروت، د. ت. ط.

ابن أبي زرع، أبي الحسن على بن عبد الله الفاسي (741هـ= 1340م):

2- الأنيس المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، أوبسالة، دار الطباعة المدرسية، 1248هـ= 1833م.

ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت659هـ= 1259م):

3- التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، عدد الأجزاء 4، دار الفكر للطباعة، لبنان، ط1، 1415هـ= 1995م.

4- المعجم في أصحاب القاضي أبي على الصدفي، مطبعة روخس، مجريط، 1885م.

5- الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، عدد الأجزاء 2، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1963م

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ = 1223م):

6- الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، عدد الأجزاء 10، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ= 1994م.

7- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد البنا ومحمد عاشور، عدد الأجزاء 3، مكتبة فايد، القاهرة، 1389هـ= 1970م.

ابن الأحمر، إسماعيل بن يوسف (ت810هـ= 1407م):

8- بيوتات فاس الكبرا، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1391هـ= 1972م.

ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله (ت 776هـ = 1374م):

9- أعمال الأعلام، تحقيق: أحمد العبادي، محمد الكتاني، عدد الأجزاء 3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1383هـ= 1964م.

10- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق ليفى بروفنسال، عدد الأجزاء 8، دار المكشوف، بيروت، لبنان، ط2، 1375هـ= 1956م.
11- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عنان، عدد الأجزاء 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1393هـ= 1973م.

ابن القاضي، المكناسي (ت960م= 1025هـ):

12- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، عدد الأجزاء 2، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ج2 ص344-345.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت751هـ= 1350م):

13- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق :محمد حامد الفقي، عدد الأجزاء 3، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1393هـ= 1973م.

ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت542= 1147م):

14- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، عدد الأجزاء 8، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، ط1، 1398هـ= 1978م.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (578 هـ= 1183م):

15- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني، عدد الأجزاء 8، مكتبة الخانجي، ط2، 1374هـ = 1955م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي:

16- الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، عدد الأجزاء 9، دار الفكر، ط1، 1395هـ= 19751975م.

ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله (ت241هـ= 855م):

17- فضائل الصحابة، تحقيق: وصي الله محمد عباس، عدد الأجزاء 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1403هـ= 1982م.
18- كتاب الزهد، عدد الأجزاء 2، د. ت. ط.

ابن حوقل، أبي القاسم بن حوقل النصيبي (ت380هـ= 990م):

19- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1412هـ= 1992م.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الأشبيلي (ت535هـ= 1134م):

20- قلائد العقيان في محاسن الأعيان، القاهرة، 1283هـ= 1866م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ= 1406م):

21- تاريخ ابن خلدون، عدد الأجزاء 7، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت. ط.
22- مقدمة تاريخ ابن خلدون، مصر، 1968م، د. ت. ط.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681م= 1282م):

23- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، عدد الأجزاء 7، دار صادر، بيروت، 1390هـ= 1971م.

ابن زيري، عبد الله بن بلقين بن حبوس (ت483هـ= 1090م):

24- التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري، تحقيق: ليفي برفنسال، دار المعارف، مصر، د. ت. ط.

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري (ت230هـ= 845م):

25- الطبقات الكبرى، عدد الأجزاء 8، دار صادر، بيروت، د. ت. ط.

ابن سعيد المغربي، على بن موسى (ت685هـ= 1286م):

26- المغرب في حلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، عدد الأجزاء 2، دار المعارف، القاهرة، 1374هـ= 1955م.

ابن شبة، أبو زيد عمر النميري البصري (262هـ= 875م):

27- تاريخ المدينة المنورة، تحقيق علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، عدد الأجزاء 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ= 1996م.

ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين (ت257هـ= 870م):

28- فتوح مصر وأخبارها، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ط1، 1416هـ= 1995م.

ابن عبد الملك، أبو عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي المراكشي (ت703هـ= 1304م):

29- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: محمد بن شريفة، عدد الأجزاء 8، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1404هـ= 1984م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت328هـ= 939م):

30- العقد الفريد، تحقيق: مفيد قمحية، عدد الأجزاء 9، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1404هـ= 1983م.

ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبي:

31- رسالة في القضاء والحسبة، نشر ليفي بروفنسال، القاهرة، 1374هـ= 1955م.

ابن عذارى، أبو العباس أحمد بن محمد (ت712هـ= 1312م):

32- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، عدد الأجزاء 4، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط3، 1403هـ= 1983م.

ابن عياض، عياض بن موسى (ت544هـ= 1149م):

33- ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد محمود، عدد الأجزاء 8، بيروت، 1386هـ= 1967م.

ابن فرحون، إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون اليعمري المالكي (ت799هـ= 1397م):

34- الديباج المذهب في أعيان المذهب، تحقيق: أبو النور، محمد، عدد الأجزاء 2، دار التراث، القاهرة، د. ت. ط.

ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل (ت774 هـ= 1372م):

35- البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، عدد الأجزاء14، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1408 هـ= 1987م.

ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ت711هـ= 1311م):

36- لسان العرب، عدد الأجزاء 15، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، د. ت. ط.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت218هـ= 833م):

37- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، عدد الأجزاء 2، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1375هـ= 1955م.

الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي الحسني (ت548هـ= 1154م):

38- المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبع بريل، ليدن، 969هـ= 1562م، ص59.

39- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د. ت. ط.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (430هـ= 1038م):

40- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، عدد الأجزاء 10، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1405هـ= 1984م.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي (ت256هـ= 860م):

41- الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، عدد الأجزاء 6، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ= 1986م.

البزار، أبي بكر بن عمرو بن عبد الخالق العتكي (ت292هـ= 904م):

42- مسند البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، عدد الأجزاء 9، علوم القرآن بيروت- العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1409هـ= 1988.

البكري، أبى عبيد (ت487هـ= 1085م):

43- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت. ط.

بن دحية، أبي الخطاب عمر بن حسن (ت633هـ= 1235م):

44- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، د.ت. ط.

البيذق، أبي بكر بن على الصنهاجي (665هـ= 1170م):

45- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1390هـ= 1971م.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت458= 1066م):

46- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، عدد الأجزاء 10، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة، الهند، حيدر آباد، ط1، 1344هـ= 1925م، ج10 ص215.

التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت627هـ= 1220م):

47- التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق، الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط2، 1417هـ= 1997م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت816هـ= 1413م):

48- التعريفات .تحقيق :إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405هـ= 1984م.

الجزنائي، على:

49- جنى الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ= 1991م.

الحميري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت866هـ= 1461م):

50- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1400هـ= 1980م.

51- صفة جزيرة الأندلس، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1408هـ= 1987م.
الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ= 1374م):
52- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، عدد الأجزاء52، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ = 1987م.
53- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط، عدد الأجزاء 23، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط9، 1407هـ = 1987م.
54- العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، عدد الأجزاء4، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت. ط.
السملالي، العباس بن إبراهيم (ت1378هـ= 1958م):
55- الإعلام بمن حل مراكش من الأعلام، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، عدد الأجزاء10، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1403هـ= 1983م.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ= 1505م):
56- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عدد الأجزاء2، المكتبة العصرية، لبنان، د. ت. ط.
57- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1371هـ= 1951م.
الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (599هـ= 1203م):
58- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1410هـ= 1989م.
الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (360هـ= 971م):
59- المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، عدد الأجزاء 20، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1404هـ= 1983م.
الطبري، أحمد بن عبد الله (ت 694 هـ= 1295م):
60- الرياض النضرة في مناقب العشرة، عدد الأجزاء 3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1418 هـ= 1997م.
الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ= 922م):
61- تاريخ الأمم والملوك، عدد الأجزاء 5، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ= 1986م، ج2 ص241-244.

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري (ت520هـ= 1126م):

62- سراج الملوك، القاهرة، 1289هـ= 1872م.

عبد الواحد، بن على التميمي المراكشي (ت669هـ= 1270م):

63- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد العريان، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل (ت852هـ= 1448م):

64- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، عدد الأجزاء 8، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ= 1991م.

65- فتح الباري شرح صحيح البخاري، عدد الأجزاء 13، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ= 1959م.

القرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي (ت684هـ= 1285م):

66- الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق خليل المنصور، عدد الأجزاء 4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ= 1997م.

الكتامي، أبي محمد حسن بن على بن محمد بن عبد الملك (ت منتصف القرن 7هـ):

67- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ= 1990م.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت487هـ= 1094م):

68- كتاب الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ= 1998م.

المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت1041هـ= 1631م):

69- أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: مصطفى السقا، عدد الأجزاء 3، القاهرة، 1357هـ= 1939م.

70- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، عدد الأجزاء 7، دار صادر، بيروت، 1387هـ= 1968م.

مؤلف مجهول (ت ق 6هـ):

71- الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد عبد الحميد، الإسكندرية، 1377هـ= 1958م.

مؤلف مجهول:

72- الحلل الموشية، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1399هـ= 1978م.

مؤلف مجهول:

73- مفاخر البربر، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، ط1، 1425هـ= 2005م.

الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد (ت1250هـ = 1835م):

74- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، عدد الأجزاء 3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ = 1997م.

النباهي، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي (رجحت وفاته قبل القرن الثامن):

75- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1403هـ= 1982م.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت303هـ= 915م):

76- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، عدد الأجزاء8، دار المعرفة، ببيروت، ط5، 1420هـ= 1999م، ج8 ص718.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ= 1333م):

77- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، عدد الأجزاء 33، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424 هـ= 2003م.

ياقوت، أبو عبد الله بن عبد الله (ت626هـ= 1229م):

78- معجم البلدان، عدد الأجزاء 5، دار الفكر، بيروت، د. ت. ط.

ثالثاً: المراجع العربية

بنصبيح، عبد الواحد:

1- المرابطون، مكتبة سلمى الثقافية، ط1، 1426هـ= 2006م.

بوتشيش، إبراهيم:

2- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1417هـ= 1997.

حسين، حمدي:

3- التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية،1417هـ= 1997م.

دندش، عصمت:

4- دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1408هـ= 1988م.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت 1396هـ= 1976م):

5- الأعلام، عدد الأجزاء 8، دار العلم للملايين، ط15، 1422هـ= 2002م.

سالم، السيد:

6- تاريخ مدينة المرية، بيروت، د. ت. ط.

7- العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر، مج 8، عدد1، 1397هـ= 1977م.

8- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، عدد الأجزاء 2، بيروت، 1390هـ= 1971م.

9- المساجد والقصور بالأندلس، سلسلة اقرأ، عدد 191، 1377هـ= 1958م.

10- المغرب الكبير، عدد الأجزاء 3، دار النهضة العربية، بيروت، 1401هـ= 1981م.

السامرائي، خليل:

11- علاقات المرابطين بالممالك الأسبانية بالأندلس وبالدول الإسلامية، دائرة الشئون الثقافية والنشر، العراق، 1405هـ= 1985م.

العبادي، أحمد:

12- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، ط1، 1386هـ= 1967م.

عبد الحميد، سعد:

13- المرابطون، منشأة المعارف، الإسكندرية، عدد الأجزاء 4، ط1، 1415هـ= 1995م.

عنان، محمد:

14- دولة الإسلام في الأندلس، عدد الأجزاء 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1417هـ= 1997م.

كنون، عبد الله:

15- النبوغ المغربي، عدد الأجزاء 3، د. ت. ط.

محمد، سوداي:

16- دراسات في تاريخ المغرب العربي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة البصرة، 1409هـ= 1989م.

محمود، حسن:

17- قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت. ط.

مرزوق، محمد:

18- الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، د. ت. ط.

مكي، محمود:

19- وثائق تاريخية جديدة عن المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مج 7، 1، 2، 1378هـ= 1959م.

المنوني، محمد:

20- التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور، مجلة الثقافة المغربية، 1391هـ= 1972م.

مؤنس، حسين:

21- سبع وثائق تاريخية جديدة عن دولة المرابطين، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الثاني، العددان 1، 2، 1373هـ= 1954م.

رابعاً: المراجع المترجمة

أشباخ، يوسف:

1- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عنان، عدد الأجزاء 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1417= 1996م.

بالباس، توريس:

2- الفن المرابطي والموحدي، ترجمة مصطفى غازي، القاهرة، 1390هـ= 1971م.

بالنثيا (آنخل جنثالث):

3- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، د. ط، 1374هـ= 1955م.

بروفسنال، ليفى:

4- الإسلام في المغرب والأندلس، تحقيق السيد سالم، محمد حلمي، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، 1410هـ= 1990م.

لويس، أرشيبالد:

5- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ترجمة أحمد عيسى، محمد غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1379هـ= 1960م.

مورينو، جوميث:

6- الفن الإسلامي في أسبانيا، ترجمة: لطفي عبد البديع والسيد سالم، القاهرة، 1387هـ= 1968م.

ويوزورث، شاخت:

7- تراث الإسلام، سلسلة عالم المعرفة، 1398هـ= 1977.

الملخص

هذه الدراسة ترصد بعض عناصر الاستقامة عند حكام دولة المرابطين، مثل الورع، والتقوى، والشورى، والزهد، والعدل، ورعاية العلم، التي أهلتهم للاقتراب من صفات حكم الخلفاء الراشدين، والتي نجح من خلالها حكام دولة المرابطين من إقامة دولة قوية، نجحت في إصلاح مجتمعي المغرب والأندلس، وإظهار تجربة مهمة ناجحة في إصلاح المجتمعات المنحرفة، وتحويلها إلى مجتمعات مستقيمة قوية موحدة مجاهدة منتصرة، وبيان دور الحكام المقتدين بالخلفاء الراشدين في تحقيق هذا النجاح.

وقد توصلت من خلال دراستي إلى بعض النتائج المهمة ومنها، كانت تربية عبد الله بن ياسين لأتباعه رفيعة المستوى غرست في نفوسهم حب الشهادة، والتلذُّذ بمتاعب الجهاد والحرص على هداية النَّاس، واختار لأتباعه اسماً يدل على الرابطة السامية التي ربطت هذه الجموع التي كانت متناحرة وأصبحت متآخية متعاونة ألا وهى "المرابطون"، تمسك أمراء المرابطين بعدة صفات منها الورع والتقوى، العدل مع الرعية، وتفقد أحوالها، والشجاعة، والشورى، والاهتمام بالعلم، والتواضع، والشورى، والزهد مما مكنهم من التمسك بأخلاق الخلفاء الراشدين والسير على نهجها، وأدى إلى محبة الشعوب واحترامها لهم. تمسك أمراء المرابطين بعدة صفات منها الورع والتقوى، العدل مع الرعية، وتفقد أحوالها، والشجاعة، والشورى، والاهتمام بالعلم، والتواضع، والشورى، والزهد مما مكنهم من التمسك بأخلاق الخلفاء الراشدين والسير على نهجها، وأدى إلى محبة الشعوب واحترامها لهم، كان عصر المرابطين عصر اهتمام بالشعراء والأدباء وتشجيع الدولة لهم، مما ساعد على تألق الحياة الأدبية والعلمية،

استطاع الأندلسيون أن يُثروا دولة المرابطين بالشعراء والأدباء. وأن يؤثِّروا في كثير من جوانبها المعمارية والفنية والثقافية. استطاع يوسف بن تاشفين أن يفتح مدن الأندلس. وأن يضم الممالك إلى دولة المرابطين، وأسر بعض ملوك الأندلس الذين ثبت تعاونهم مع النصارى. ووضعهم في المغرب إلى أن توفاهم الله، وبذلك قضى على ملوك الطوائف. أثبت أمراء المرابطين تمسكهم بمبادئ الإسلام الصحيح من حيث السعي لإقامة وحدة إسلامية بين المغرب والأندلس. وجهاد الأمم الكافرة، وجهاد أعداء الله النصارى. كان عصر المرابطين عصر ازدهار في اقتصاد المغرب والأندلس. فقد أوضحت الرخاء التي تمتعت به بعض المدن التجارية مثل المرية ومراكش. ومن أهم التوصيات التي قمت بطرحها، دراسة آثار الضعف الأخلاقي والروحي في نهاية عصر المرابطين على انهيار الدولة المرابطية، دراسة العلاقة بين الخلافة

العباسية فـي بغداد ودولـة المـرابطين فـي المغـرب والأنـدلس، دراسـة التـرف فـي عصـر ملـوك الطوائف.

ABSTRACT

This study monitors some elements of integrity of the rulers of the Almoravids state، such as piety، asceticism and the Shura Council، justice and care for the science that promote them to approach Qualities of the rule of the caliphs، which succeeded in reforming the two communities of Morocco and Andalusia، showing an important and successful experience in reforming bad societies and change them to strong، unified، struggling and victorious communities، and state the role of rulers who are guided by the caliphs in achieving this success.

I have come across، through my studies، to some important results، including، the guidance of Abdullah bin Yassin to his followers of high-level instilled in them the love of martyrdom and savoring the troubles of Jihad an careful guidance of people. He chose a name to his followers that shows the Semitic link which connected these crowds that were feuding and became brothers and collaborating who are called "The Almoravids".

The princes of the Almoravids stuck in several qualities including، piety، justice with the public and knowing their conditions، the courage and the Shura Council، interest in science and humility and asceticism، which enabled them to stick to the morality of the Caliphs and firmly follow their approach، and this led to the love of the people and respect them. The age of the Almoravids was an interested era of poets and writers and the stats encouragement to them has helped to shine the literary and scientific life.

The Andalusians were able to enrich the state of the Almoravids with poets and writers and could influence in many aspects of architectural، artistic and cultural fields.

Yousif bin Tashfeen was able to open the cities of Andalusia and that includes the addition of kingdoms to Almoravids state and captivated some of the kings of Andalusia who proved their cooperation with the Christians and put them in Morocco.

Till they died. Thus، he killed the kings of tribes. The Almoravids princes proved their adherence to the principles of true Islam in terms of seeking to establish an Islamic unity between Morocco and Andalusia.

The fighting of non-muslim nations، and the enemies of God. The age of the Almoravids was a prosperous era in the economy of Morocco and Andalusia. It has made it clear that the prosperity which some commercial cities enjoyed such as Marrakech and Almeria.

Among the most important recommendations that I have mentioned are: studying the effects of moral and weakness at the end of the Almoravids era on the collapse of the collapse of the Almoravids state and the study of the relationship between the Abbasid Caliphate in Baghdad and the Almoravids state in Morocco and Andalusia، and the study of luxury in the era of tribal kings.

.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	**2**
إهـــــداء	**3**
قائمة بالرموز والاختصارات الواردة في البحث	**4**
المـقـدمـــة	**5**
تمهيد	**7**
أولاً– معالم الرشد في عهد الخلفاء الراشدين	7
ثانياً– نشأة دولة المرابطين	24
الفصل الأول: استقامة حكام المرابطين	**28**
المبحث الأول الشورى عند حكام المرابطين	29
المبحث الثاني الورع والتقوى عند حكام المرابطين	33
المبحث الثالث زهد حكام المرابطين	38
المبحث الرابع تواضع حكام المرابطين	41
المبحث الخامس تفقد حكام المرابطين للرعية	44
المبحث السادس شجاعة حكام المرابطين	48
الفصل الثاني: العدل عند حكام المرابطين	**51**
المبحث الأول عدل حكام المرابطين مع المسلمين	52
المبحث الثاني عدل حكام المرابطين مع غير المسلمين	61
المبحث الثالث عدل حكام المسلمين في القضاء	67
الفصل الثالث: العلم عند حكام المرابطين	**74**
المبحث الأول اهتمام حكام المرابطين بالعلم والعلماء	75
المبحث الثاني اهتمام حكام المرابطين بالعلوم الشرعية	81

المبحث الثالث اهتمام حكام المرابطين بالأدب واللغة 87
المبحث الرابع اهتمام حكام المرابطين بالعلوم الأخرى 97
الفصل الرابع: جهاد حكام المرابطين 103
المبحث الأول الجهاد لإقامة الحكم الإسلامي 104
المبحث الثاني الجهاد لتحقيق وحدة الأندلس 110
المبحث الثالث الجهاد ضد الممالك النصرانية 123
الفصل الخامس: التطوير الإداري والاقتصادي والعمراني عند حكام المرابطين 128
المبحث الأول التطور الإداري 129
المبحث الثاني التطور الاقتصادي 135
المبحث الثالث التطور العمراني 142
الخاتمة ونتائج البحث 151
التوصيات 153
مصادر ومراجع البحث 154
الملخص 165
ABSTRACT 167